د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

القراءة والأسئلة الناهضة

لماذا نقرأ؟ وكيف نقرأ؟ وماذا نقرأ؟



د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

القراءة والأسئلة الناهضة

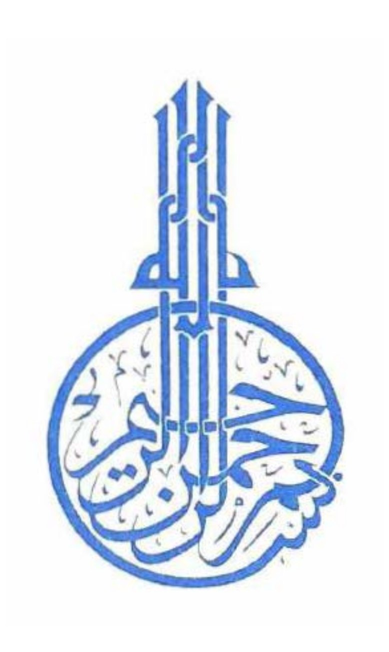
لماذا نقرأ؟

وكيف نقرأ؟

وماذا نقرأ؟




القراءة
والأسئلة الناهضة





الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• ﴿ اقْرَأْ ﴾: **أول كلمة وُجِّهت لصاحب الرسالة، وحامل لواء الفكرة، وصانع التغيير، ولا أعلم وجهاً مشرقاً في الأرض كوجهها**، ولا أرى في المقابل وجهاً مظلماً في الدنيا كلها كالوجه المقابل لها: (الجهل).. **ومهمة الوحي الكبرى: بناء الأفكار والمفاهيم، وتصحيح التصورات؛ وهي قضية القراءة في الأصل.**

وحين أراد الله تعالى لهذه الأمة النهضة ألقى إلى رسوله ﷺ بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾؛ الكلمة التي تطارد الجهل، وتقشع الظلام، وتبدِّد الأوهام، وتفيض على الدنيا الحياة، ومن أجلها غُطَّ النبي ﷺ في غاره ثلاثاً، حتى عاد مرعوباً يظنُّه الموتَ، وما كان يدري أن أثقال العلم عظيمة، ولا يحملها إلا الكبار!..

• **كل فرد لا يقرأ فهو بيئة خصبة لكل الأمراض، وحاضن بامتياز لأفكار الدجل وخلل التصورات وعبث الأوهام**، وليس

أدل على ذلك من أمة كانت تنحني طائعة ذليلة لحجر! وتقوّس تراباً لتحلب فيه لبن الشاة وتتأله له قبل الجفاف! ويدفن الواحد منهم بنته وفلذة كبده في الأرض وهي تَذُبُّ عن لحيته التراب، وحين جاء حامل لواء ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ بأحداثها في تلك المساحات أغار على الأرض بذات الرجال فأفاضوا على الدنيا كلها الأفراح!.

• **حين تمسك بيد إنسان ليقرأ؛ فأنت لا تعلمه حرفاً مزهراً، ولا تدله على ربيع أرض مورق؛ وإنما تبني إنساناً يحمل فكرة، ويتحمل أثقال مشروع، ويقوم بقضية، ويبقى مناضلاً ما بقيت الدنيا.**

إذا أردت أن تحمي أسرة من الطلاق، وبيتاً من النزاع والشقاق، وتجري في مؤسسة أحداث العمل والبناء، وتقيم جيشاً يدك حصون الباطل بوعيه وفقهه وفهمه، ويُغِير على ساحات الظلام، ويكتب فصولاً للمجد، وسؤدداً للحياة؛ فدل أجياله على القراءة، وسترى صنائع التاريخ تأخذ حظها من جديد.

• **هذا الكتاب موجه لأجيال الأمة التي لم يعد ينقصها إلَّا أن تعتنق القراءة كعبادة من العبادات، وليس ترفاً فكريّاً، أو نزهة ثقافية، أو رحلة للاستجمام..** نحن أمة ليس فيها شيء من العبث،

ومن أراد أن يكون لبنة في بناء أمته، وحارساً أميناً على ثغور تراثه ومجده؛ فليبدأ فصول هذه القصة المدهشة في واقعه، وسيرى في المقابل أمتع فصول الربيع على الإطلاق.

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



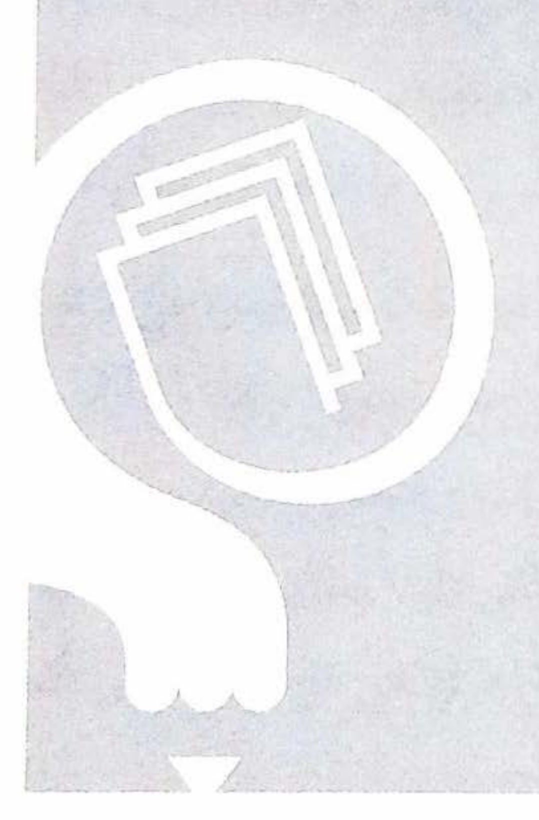
نافـذة:

إذا أردتَ أن تُسـعد إنسـاناً؛ فحبِّبْ إليه القراءة.



تمهيد

- كيف تَعَرَّفوا على عادة القراءة.
- ماذا صنعت لهم القراءة (حديث القراء).







كيف تَعَرَّفوا على عادة القراءة؟

• قال لي: تخرَّجْتُ معلماً ولا علاقة لــي بالقراءة، بل كنت أراها من أثقل العادات، وكل المباهج التي يتحدثون عنها بشــأن هذه العادة كنت أظن أنها ضربٌ من الأوهام.

وأكثر المفاهيم التي كانت تمنعني من القراءة: أنني كنت أراها تحاصر حريتي، وتأخذ من متعتي، وتفرض عليّ قيوداً، وأنا أتوق إلى الفكاك مما أنا فيه؛ فكيف أصنع ظلاماً قادماً في الحياة؟!..

غير أن المدرســة التي كنت فيها كان فيها قدوة في بناء هذه العادة، كان يحمل كتبه معه في كل صباح، وإذا وجد وقتاً أو فراغاً أو زمناً مستقطعاً فتح كتابه وأقبل إليه ومنحه مشاعره وفكره، وإذا سنحت فرصة لنقاش أو حديث ألقى إلينا بما يجده في كتابه من فوائد، فكان هذا المشهد يبعثر مشاعري في كل صباح إلى أقصى مدى!..

وما زال بي حتى وقعت في شباك **هذه العادة الإيجابية**، وحين

جربتُ ذقتُ ما لم أعرفه من الشَّهْد، وتحسرت على ضياع أيامي بعيداً عن مشاهدها الممتعة وأحداثها المبهجة، وما زالت بي حتى نقلتني من عالم الفراغ إلى عالم العمل، من الهامش إلى الدهشة، من العمر الواحد والمساحة المحدودة إلى الفضاء الذي ليس له حدود، وها أنا مدين بعد فضل الله تعالى لصاحبي الذي قادني من خلال قدوته إلى مشاهدها الآسرة، وأحداثها الممتعة، ولحظاتها الجميلة، ولو شئت لقلت لك: **لقد أهداني الحياة.**

• وقال لي آخر: كان يدهشني ذلك الزميل الذي هو مثلي في كل شيء، ثم أراه يتفوّق عليّ في الحديث والفكر والرأي..

كنتُ أنصت بعمق إلى أولئك الذين يتكلمون بقوة، ويجدون كمّاً هائلاً من المفردات يعبِّرون بهـا عن مواقفهم من الأحداث، وكنت حينها أتساءل وبمرارة: كيف صنعوا هذا الفارق الكبير بيني وبينهم؟ كيف استطاعوا أن يكوّنوا أنفسـهم، ويصنعوا واقعهم، ويكتبوا حظهم كما يشاؤون؟..

وما زالت هذه الأسئلة تأخذ حظها من فكري ومشاعري **حتى عرفت وبعمق أن القراءة هي التي صنعتْ هذا الفارق**، وجعلتْ هذا البون، وكتبتْ هذه المسافة، كانوا يقرؤون وكنت حينها مصرّاً على الجهل، عاشوا زمناً مرابطين على هذه العادة وعشت في المقابل زمناً فارغاً لا علاقة لي بالكتاب في شيء.

• وقال لي ثالث: ألقى علينا معلِّمنا ذات مرة بنصيحة في القراءة؛ قال: **ابدأ بكتاب صغير، فإذا أنجزته وجدتَ له طعماً وكان مغرياً لما بعده**.. فبدأتُ بكتاب لا يجاوز ثلاثين صفحة.. ثم التهمتُ كتاباً بعده في ثمان مجلدات.

• وقال رابع: كان معلمنا في الصف الخامس يوزع علينا مجموعة من القصص، ثم نقوم بالتعبير عنها، وشاركت في الإذاعة والصحافة، وأخذت بنصيحة علي الطنطاوي حين قال: **من يرغب أن يكون كاتباً أو أديباً؛ فليبدأ بقراءة إنتاج المنفلوطي**.. ثم بدأت قصة حياتي.

• وقال خامس: أسرني أولئك الذين كنت أتدرَّب عندهم، وأدهشني أداؤهم الرائع، **وأعجبتني تلك المفردات اللغوية والاستشهادات التي كانوا يصيغونها في تلك البرامج**.. فكانت بداية الطريق.

• لم تكن قضية الشغف بهذه العادة عند هؤلاء لها رسوم معينة، وصور مرتبة، وقضايا تحتاج إلى عناء كبير، وإنما كانوا يشتاقون لكل عادة تسعدهم، وتصنع لهم واقعاً، وتكتب لهم حظّاً، وتجعلهم يقومون بأدوارهم الكبرى من خلالها كما يشاؤون.. والأحرار يتوقون لصنائع المجد، ويشتاقون إلى كل ما فيه الحياة، وأنت أكبر من أن ترى هذه المشاهد ولا تؤثر فيك، وأجلُّ من أن



تعاد عليك صور ومشاهد الأحرار بهذه العادات المدهشة ولا تحرك قلبك ومشاعرك.

فَقُمْ من مقعدك، وشمِّرْ ثوبك، وقرِّرْ ألا تنتهي من هذه الأسطر إلا والقراءة عادة من عاداتك، وجزء لا يتجزأ من يومك، ومشهد من مشاهد المجد في تاريخك وسيرتك.



رسالة:

إعراض شبابنا عن القراءة مشكلة أكبر من مشكلة البطالة والطلاق وإدمان المخدرات؛ لأن الجهل هو الطريق السريع لذلك.

(د. بكار)

٢ ماذا صنعت لهم القراءة؟
(حديث القرّاء)

(أ)

• كنت شاباً لاعلاقة له بالقراءة، وليس بينه وبينها أي صلة؛ حتى دخلتُ في **تحدي القراءة** (قراءة خمسين كتاباً)، وتحولت قصة حياتي بالكلية، أصبحت لدي مكتبة، وأغراني المشروع بالقراءة.. وفي البداية كانت المسألة مجرد تحدٍّ، ثم تحولت إلى هواية، وبدأت قصة حياتي من جديد.

• كانت لدي قبل القراءة مشكلة في النطق (تأتأة)، وعدم ثقة في نفسي، وفي النهاية تخلصت من التأتأة، وأصبحت خطيباً في نوادي الحي، وزادت حصيلتي اللغوية، وتحولتُ إلى كاتب مقالات في صحف يومية، وانتقلت من هامش إلى مفكّر، واحتكَكْتُ بالقُرَّاء والكُتَّاب، وزاد معدل سقف طموحي؛ **فتحولت أسئلتي من أسئلة (متى وأين)، إلى أسئلة (كيف ولماذا).. وأخيراً أصبحت كاتباً ومؤلفاً؛ فلولا القراءة لما كانت هذه المشاهد المدهشة في واقعي وحياتي.**

(متعب الجبرين)

(ب)

• **غيَّرَتْني القراءة كثيراً دون أن أشــعر أو حتى أخطط لذلك، لقد أحالتني إلى شخص مختلف عن ما كنته قبل ذلك.**

في مرات كثيرة كنت أقرأ وأشــعر أنني فــي مغامرة ضخمة، وليست مسألة تسلية أو ثقافة عابرة، **أصبحت مع القراءة أكثر جرأة في طرح رأيي وأكثر ثقة**.. حاولتُ أن أجعل هذا الكون في نظري أجمل وأمتع..

• **لقد منحتني القراءة عُمْقاً في تفكيري، تعلَّمْتُ من خلالها السفر بمعناه الحقيقي، شكّلت مني القراءة إنساناً مختلفاً في كل شيء.**

أصبحت أكثر سلاماً ونضجاً من ذي قبل.. لقد اتسع عالمي وتوسعت مداركي وبات لي أثر أكثر من أيامي الخوالي.. ودَّعتُ الملل والاكتئاب والرتابة، وتحولت حياتي إلى ربيع.

• **لقد ســاهمت القراءة بصناعة رأيي من دون تلقين**، خضتُ معارك صامتة وأنا أقرأ، وحدها القراءة علمتني بهدوء كيف يمكن أن أتقبَّل الآخر، وألّا أرفــض الجديد من أول وهلة، ويمكنني أن أقول: **أهّلتني القراءة لكل شيء.**

• **كنت فــي منطقة مظلمة قبــل أن أتعرَّف علــى القراءة، ثم خرجتُ بعد ذلك للنــور، ورأيت الحياة التي كنت أنشــدها من جديد..** كنت أقبل بأي شيء، وأوافق على أي عمل، وأقبل بكل

زوج.. كنت مؤمنة بتلك المقولة الدارجة في أعراف كثيرين: (مد رجولك على قدر لحافك).. وتغيَّرَتْ كل هذه المفاهيم البائسة بعد القراءة؛ عدت أحلم كما أشاء، وأختار من أشاء، وأرفض من أشاء، وأنا صاحبة القرار في كل شيء.

• **تحررت من كل الأفكار الغبية التي تروج لها المجتمعات..** رأيت الجمال على حقيقته كمضمون دون مقاييس يفرضها من حولك وفق ثقافته وقيمه وسلوكه دون وعي.. استطعت أن أتعرف على عيوبي ومشكلاتي، واتخذت فيها قراراً بالإصلاح؛ وقد كنت أظن أنه لا سبيل للخلاص من تلك العادات التي نشأت معي، ورضعت من ثدي الجهل حتى رويت.

• **أحببت نفسي بعمق قبل أن يحبني أي أحد، وأصبحت أختار لها الأفضل**، وأربأ بها عن كل دنيء من الأقوال والأفعال والتصرفات.. ملأت نفسي بكل جميل فامتلأت بي أعين من حولي.. اخترت نفسي، وعرفت أين أضعها، ومع من أضعها.. أدركت أنه ليس بالضرورة أن أكون كاملة حتى أُشبع رغبة أحدهم، وحسبي أن أصحح ما أقع فيه من أخطاء وأرضي نفسي أولاً قبل أي أحد من العالمين.

هذه بعض مشاهد القراءة في حياتي وليس كلها، وهي أكبر في النهاية من أن أصفها لك في مثل هذه المساحة.

(نوال القصير)

(ج)

• **غيرتني القراءة، صنعت مني شـخصاً آخـر**، كم تمنيت أن أعيش حياي لأقرأ وكأنما خُلقت لأقرأ.. وجدت نفسـي وروحي وفكري، وجدت في النهاية كل شيء.

• **تحوَّلت القراءة إلى صديقة عمـر، وتوءم حياة**، كنت حين أواجه شيئاً صعباً آخذ كتاباً وأبدأ في قراءة فصل ممتع يعينني على تحمل تبعات الطريق وتجاوز العقبات العارضة في ثناياه.

• **القراءة نافذة إلى أحلامي وأمنياتي**، وما تمنيت إلا أن يعرف العالم من حولي هذه الحقيقة، ويبدأ رحلتها الممتعة دون توقف.

• **القراءة هي المعلِّم الذي وجدت عنده كل شـيء**، وجدتها المعلم الجاد، والصديق الممتع، ومدرسة الحياة الكبرى.. وجدت فيها روحي ومشاعري وقلبي وكل شيء.. **ألا يكفي إنساناً في هذه الحياة أن يجد المكان الأنسب لروحه؟!..**

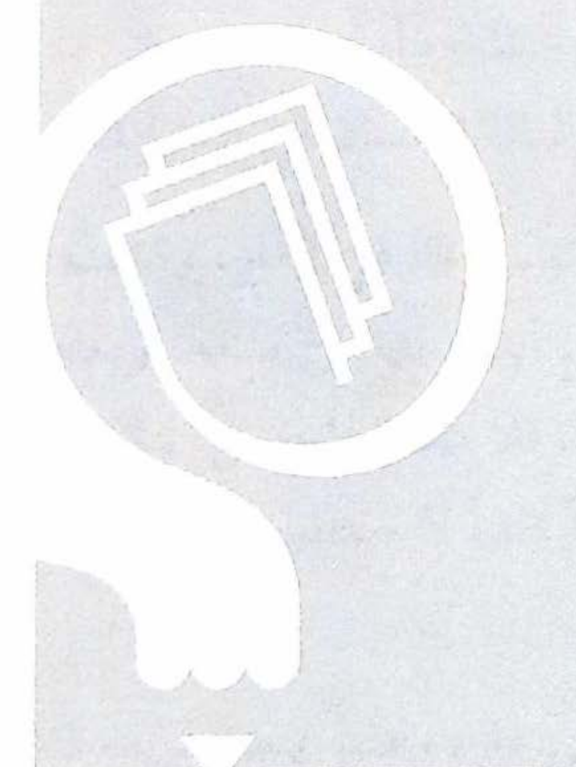
(قارئ في الشبكة)



الفصل الأول

لماذا نقرأ؟

- طريقك إلى النهضة.
- تعرّفك بنفسك.
- تخلّصك من الجهل.
- مصدر لسعادتك.
- تشكّل حياتك.
- تخفّفُ عنك الضغوط.
- تُؤَهّلك للحياة.
- تُمتّع عقلك ومشاعرك.
- تملّكك القوة.
- تصنع التغيير.
- لتعيشَ أكثر من حياة.
- لتكون كاتباً مبدعاً.
- تبدّد مخاوفك.









طريقُكَ إلى النهضة

• ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾: **بداية تاريخك، وأول كلمة في وحيك، وحديث البدايــات في مهمَّة رســولك ﷺ؛ فاحفظ لها حقهــا، وأدرك لها تكاليفهــا، وقم لها بواجبهــا، واصنع لها فــي أوقاتك ما يُجري مشاهد التحديات في قلبك ومشاعرك.**

﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾: أول كلمــة في وحيك، وأول حــدث في تاريخ دينك، وأول هتاف المجد في رسالة الإنسان في الدنيا كلها.

لقد جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبــي ﷺ في الغار، وكانت أول كلمة صرخ بها في أذنه: **(اقرأ)**.. أيقظه بها من منامه، وبعثه بها من فراش ليله، وقال له: **(اقرأ)**.. فلا مكان للجهـل، ولا نجـاح دون علـم، ومن لا يحمل ضوءاً كافياً لا يستطيع أن يبدد الظلام العارض في واقعه.

جاء جبريل إلى النبيِّ ﷺ في غاره وهــو يتعبَّد لربه، فأخذه وغَطَّه حتى بلغ منه الجهد، ثم قــال له: **(اقرأ)**.. أراد أن يقول له:

من هنا البدايات، ومن لا يملك حظّاً كافياً من العلم لا يملك قدراً كافياً من التأثير.. ومثلك أوعى أنه لا سبيل لبناء قناعاتك، وتوجُّهاتك، وقيمك ومبادئك إلا من خلال مشهد هذه العادة الآسر في حياتك.

لا سبيل لبناء منظومة ثقافتك وأفكارك، ورسم مفاهيمك وتصوُّراتك؛ إلّا من خلال مشاهد هذه المتعة في واقعك..

كل الطرق التي تريد من خلالها النهضة، وتود أن ترسم بها مشاهد الربيع في مستقبلك؛ لا بد أن تبدأ من حرف العلم، وإلّا فلا مفروح بها في شيء من واقعك.

• **في غزوة بدر** ـ أول معركة في التاريخ الإسلامي ـ أسر رسولُ الله ﷺ جموعاً من الكافرين، ورفض أن يفكهم أو يخلي أجسادهم من الحبس إلّا أن يعلّموا عدداً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، في زمن كانت الحاجة فيه إلى المال أعظم من كل حاجة.. **وهو مشهد يعلمك أن العلم كل شيء، وأن حرف القلم أثمن من المال ألف مرة**، وأن عزة الأمة ومشاهد النهضة فيها لا تتم إلا من خلال مشاهد العلم ومباهج القراءة.

• يا صاحبي، إما العلم وإلا الجهل والضياع وذهاب مقدرات العقل، وصدق من قال: **أحياناً تكون قراءة الكتب أقوى من أي معركة في الحياة**. اهـ.

من لا يقرأ لا يمكـــن أن يكون صاحب راية فـــي واقعه، أو حامل لواء فكرة في مســـاحته، أو زوجاً ممتعاً في بيته، أو والداً مبهجاً في أسرته، أو قائداً فذّاً في منظومته؛ **لأن الجهل باختصار لا يصنع إلا الضياع.**

***



تُعَرِّفكَ بنفسك

• **إذا أردت أن تتعرف على نفسك، وتدرك قدراتك ومهاراتك، وترى بجلاء كوامن نفســك، فلا ســبيل إلى ذلك إلا من خلال القراءة**، وإن زعمت ألــف مرة أنك أعرف بها دون هذا الشــرط الكبير.

- **القراءة تمكنك من الوصول إلى المعرفة التي يتوقف عليها كل شيء**، وفي الخبر: «**قتلوه قتلهم الله**» حين أفتى الجهلاءُ جُنُباً بالاغتسال في يومٍ بردٍ فمات.

وفي ســورة يوســف حكم الجهلاء على رؤيــا الملك بأنها أضغاث أحلام، وقد توقف عليها بعد ذلك خروج يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الســجن وبراءته، وأجرى جزءاً من أحكام الله تعالى بولايته في أرض مصر.. وقد كانت سلطان يوسف في السجن، وأغاث بها من حوله في تلك الحقبة، وفرّج عن الملك قلق تلك الرؤيا، وأدار بها الحياة وهو في جنبات ســجن لا يرى من أســواره حتى شــعاع الشمس.

ـ **القراءة تعرفك على ذاتك**، تمنحك فرصة اكتشاف نفسك، تبين لك عن هــذه المــوارد الضخمة في حياتــك، وتصنع لك مستقبل الأيام كما أردت..

وإذا أردت أن تعرف هذه المســافة بوعي فانظر إلى صديقين يحملان القــدرات والإمكانات ذاتهــا؛ أحدهما يصنــع تاريخه ويكتب حظه ويجري شأنه كما يريد، والآخر في صفوف الجماهير العامة لا يملك مورداً يغيث به نفســه ويفتح به آفاقاً لمن حوله، وهو يحمل القدر ذاته من الإمكانات والمواهب والقدرات.

ـ **كم فتحت القــراءة من أبواب الفــرص! وكم أوصدت من أبواب المشكلات والأزمات!** كم من فكرة في كتاب أجهزت على كســل قارئها، وأيقظته من نومه، ودفعت به إلى عروش المجد، وصنعت لــه تاريخه، وأقبلت بــه يأخذ من الســهل ما يصعد به للجبل، وينظم من ركام المشــكلات ما يصنع به سلالم المجد، ويكتب قصته في الدنيا كما يشاء.

ـ **القراءة تكشف لك المجهول**، وتبين لك ما حولك من الفرص، وتمنحك معرفة كافية بواقعك، وتجعلك تُجري كل تصرفاتك على الحقائق لا يتخلّف منها شــيء، وكم من جَهْلٍ بهــذا الواقع أودى بصاحبــه إلى الضياع!.. تخيــلْ جاهلاً لا يعرف واقعــه، ولا يدرك فرصه، ولا يمايز بين مصالحه ومفاســده، ويظــل في عمى الجهل محروماً من مباهج هذه المعرفة في محيطه ومساحته إلى الفوات.

- **حتى جمال مشـــاعرك وهتاف روحك تصنعه القراءة**، وتلج بك إلى مواطن السـعادة من أقـرب الطرق وأيسـرها، وكم من محروم من هذه المعاني بسبب الجهل! وكم من قاتل لنفسه وهو لا يدري!..

• **اقرأ لتعرف: من أنت؟ ما مواهبك؟ ما قدراتك؟** ما مهاراتك التي لا يملكها سواك؟ ما مشروعك في الحياة؟ ما القضية التي تصلح لك لا لغيرك؟ ما الهدف الذي يسـتحق منك الركض كل ساعة وحين؟..

كثيرة هي الفرص التي لا تكشفها لك سوى القراءة، وكثيرة في الوقت ذاته المشـكلات والأزمات والعقبـات التي تعترض طريقك ولا يزيحها إلا القراءة، هذه هي الحقيقة التي يراد لها أن تأخذ حظها من واقعك، وتكتب تفاصيلها الممتعة في مسـتقبل أيامك.

❁ ❁ ❁



تُخَلِّصُك من الجهل

• لقد امتنَّ الله تعالى على رسوله ﷺ بالعلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣].

وأول كلمة تلقَّاها ﷺ في طريق رسالته ومشروعه ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾، وقد ذكّر الله تعالى بهذه المنة على عباده فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

ولن يفكك من أسر الجهل وتفشي الأوهام في حياتك إلَّا العلم، ووسيلته الأولى والأخيرة القراءة.

• حُرم نبي الله تعالى موسى عليه السلام من مرافقة الخضر والاستزادة من علمه ورفقة أهل الفضل بسبب الجهل، وما زال الخضر يُحذره في كل مرة: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧].

والجهل يستعظم أفعاله ويخرجه من صبره، ويدفع به إلى

العجلة، حتى قال لــه في النهايــة: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨].

وكم في تأسف نبينا ﷺ على فوات أرباح تلك الفرص حين قال: «**رحم الله موسى وددنا أنه صبر**»..

وغالب أو كل حالات النزاع والشــقاق والخصام التي تنتهي في الأســرة بالطلاق ســببها الجهل، وقُلْ مثل ذلك ما يقع بين الإخوة والزملاء والأصدقاء مرده كذلك للجهل؛ إما بطبائع الناس، أو فقه النفوس، أو عدم معرفة مواطن الحديث، وتقدير الحال في تلك المواقف.. **وكم من مواقف فشل وإخفاق وحرمان كان وراءها الجهل!..**

• كنت ذات مرة مشغولاً بتتبع أخبار رياضة المشي، ووجدت خبراً بأن عشر دقائق من المشي بعد الأكل مباشرة كافية بأن تخلق في جســدك الصحة، وبقيت على هذا الخبر زمنــاً، وفي النهاية اكتشــفت أنني بهذا العمل أنتحر كل يوم؛ فقد ثبــت صحيّاً بأن المشي بعد الأكل مباشرة أسرع طريق إلى جلطات القلوب، عافانا الله وإياكم من الأمراض والأسقام..

ماذا لو أنني لم أقرأ، ولم أعرف ما ينقض ذلك الجهل، وأدرك مع الأيام ما يهدم ذلك الوهم!..

• **تخيّل جاهلاً لا يقــرأ؛ كيف يتعلم دينــه وأصول عقيدته**

ومنهجه؟! كيف يتعبّد لربه، ويتعرّف على أسمائه وصفاته؟! كيف يقرأ فصول ومشاهد رحمة ربه تعالى في الأنفس والكون؟! كيف يتخيّل تلك الجنة التي وعد الله تعالى عبـاده؛ وهو لم يقرأ حرفاً واحداً عن تفاصيل أعظم الأمنيات؟!.. كيف يتعرف على نبيه ﷺ وسـيرته وصفاته؟! كيف يقتدي به وهو جاهل لا يعرف عنه إلا ما يدار في أحاديث الناس؟! كيـف تتعامل مع زوجك، وولدك، وجارك، وصديقك، وزملاء العمل؟! كيف تجري شـأنك وأنت لا تعرف إلّا نتفاً من أخبار الناس وجزءاً من أحاديث القائلين؟!.

• **القراءة تمنحك وضوحـاً في الطريـق، وتعينك على فهم ما حولـك،** وتملـكك أدوات الحكـم، وتظهر لـك المصالح والمفاسد، وتعينك على اختيار الأنسب من المواقف والأحداث.

وإذا أردت أن تنعتـق من أسـر الجهل، وتخـرج من ظلامه، وتتفوق على أوهامه فعليك بالقراءة، تجعلك عالِماً بكل ما يُدار حولك، وقادراً في الوقت ذاتـه على الحكم فيه بما يوافق الحق، ويعينك على النجاح والفلاح في الدارين.

***



مصدَر لسعادتك

• كان شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله تعالى يقرأ وهو مريض، فقال له الطبيب وهو يعالجه: أضر ما عليك الكلام في العلم والفكر فيه، والتوجه والذكر. فقال له: ألستم تزعمون أن النفس إذا قويت وفرحت أوجب لها فرحها قوة تعين بها الطبيعة على دفع المعارض؟ فقال له الطبيب: بلى. فقال له: **إذا اشتغلت نفسي بالتوجه والذكر والكلام في العلم، وظفرت بما يشكل عليها منه؛ فرحت وقويت، فأوجب لها ذلك دفع المعارض**. اهـ.

قال **ابن الجوزي**: وبلغني أنَّ **ابن الجواليقي** رؤي في المنام بعد موته في مدينة جميع جدرانها من الكتب، وحوله كتب لا تحد، وهو مشتغل بمطالعتها، فقيل له: ما هذه الكتب؟ فقال: سألت الله تعالى أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني. اهـ.

ولو أنك سرّحت خيالك ومشاعرك في هذا المعنى؛ لكان كفيلاً ببث مشاعر الدهشة في قلبك إلى أبعد مدى!.

• **القراءة من أعظم أسباب سعادتك**؛ لأنها تملكك المعرفة التي تزيح عنك آصار الجهل، وتعتق عقلك من أوهام الضلال، وتفتح عينك على العالم من حولك، وتدلُّك على أكثر طرق الحياة ألقاً ومتعة.

القراءة تنقلك من بلدك وموطنك وموقع قدمك إلى العالم كله، فترى فيها ومن خلالها كل شيء:

كم مرة حدثتك القراءة عن لغة الشعوب وعاداتها وقيمها ومبادئها وأنت جالس على كرسيك!..

كم مرة فتحت عينك على نصر أمة في حقب التاريخ، وأخذت بمشاعرك إلى مشاهد النصر في تلك الأمم!..

كم مرة أرتك ميراث الأمم وتضحياتها في سبيل دينها ومبادئها الكبرى!..

تخيل وأنت تقرأ التاريخ فتعيش حقباً من أحداثه من فجر الدنيا إلى يومك هذا؛ لا يفصلك عنه زمن، ولا تقف دونه حواجز مكان.. وكم في هذه المواقف من بطولات، ومشاهد نصر، وتاريخ أمم، وحضارة دول! وكم فيها من سنن تجعلك ترى الحقائق رأي عين.

• **في مرات كثيرة تنقلنا أسطر كتاب من الأزمة إلى مَنَحِها وفألها وجمالها**، ونخرج من صفحات ذلك الكتاب وقد امتلأت

قلوبنا بمشاعر الفرح والألق، للدرجة التي لا تكاد تسعنا تلك المساحات.

وفي مرات أخرى يعرض لنا ذلك الكتاب مساحات الربيع، وآفاق الحياة، وتجليات الأمل؛ حتى يكاد يعانق بنا الفضاء أو يكاد.

قال **ابن الجوزي** رحمه الله تعالى: وإني أخبر عن حالي: **ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره من قبل فكأني وقعت على كنز.** اهـ.

• **القراءة تعرض لك أخطاء الناس فتجتنبها، ومواقف العز والشموخ فتعتنقها**، تريك الفارق بين ميلاد إنسان ومجده، وفجره وظلامه، وتاريخه وأيامه؛ فتأخذك من ليل الجهل إلى فجر العلم والنور، فتركب الصعب والذلول في سبيل تلك الأماني التي سطرها الرجال في عرض التاريخ.

كم مرة حَلَّتْ لك القراءة مشكلة، وفَكَّتْ عنك قلق أزمة، وأوردتك للحقيقة التي عشت زمناً تبحث عنها ولم تجد من يدلك عليها رغم ضرورتك وحاجتك إليها، وإذا بها تبعث في قلبك الحياة من جديد.

❁ ❁ ❁





تُشَكّل حياتك

• **كم مرة كان الإنســـان موغلاً في الهم والقلق**، وعاش تعيساً في جزء من وقته وزمنه، **حتى مَنَّ الله تعالى عليه بأســـطر الأمل والفأل في كتاب مرقوم**، فقـــام من فراش أزمتـــه، وبدأ خطوات المجد، وعاد مولوداً من جديد!..

كم مرة كان الإنسان مفتوناً بفكرة ضالة، وخطأ استولى على تفكيره، وخســـر من خلال ذلك جزءاً من مســـتقبله، وكثيراً من فرصه، ومســـاحة كبيرة من إمكاناته، **وفي النهاية عثر على كتاب بدَّدَ تلك الفكرة**، ونقض عراها، وتخلّـــص منها، وعاد مورقاً في الحياة.

كم مرة ســـيطرت الأوهام على عقل إنســـان وقلبه ومشاعره، وعاش مسجوناً في ظل ذلك الوهم زمناً طويلاً، **ثم مَنَّ الله تعالى بقلم كاتب، فـــأزاح تلك الأوهـــام**، وبدَّد تلـــك الظنون، وصنع للحقائق واقعاً من جديد.

• قال لي: قرأت ذات ليلة قول القائل:

إذا كُنْتَ ذا رأيٍ فَكُنْ ذَا عزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرَّأيِ أنْ تَتَرَدَّدا

فأقامني هذا البيت من فراشي، وأخذت جزءاً من المال، واتصلت بصاحبي وقابلته، ودفعت له ذلك المال كمقدَّم لمهر زواج، وأنا اليوم في بيت وأسرة كبيرة.. واستطاع هذا الحرف المقروء أن يشكل شخصيته، ويبني رأيه، ويصنع له هدفاً، ويكتب له قضية في مستقبل الأيام.

وأنا والله في كثير من مشاريعي مَدِين لمثل هذه المقروءات العارضة، وهي بعد فضل الله تعالى التي شكَّلَتْ جزءاً كبيراً من هذه المشاريع العلمية في واقعي، وكم من صاحب قلم وحرف وكتاب يجري حظه في الدارين من خلال فكرة ربما لم يحتفل بها وهي تجري عليه بأثرها ما بقيت الحياة.

وأقول دون تردد: **إنَّ حياتنا اليومية ما هي إلا صدى لأفكار الكتب والكتاب وتجارب الناجحين.**

قال **العقاد** رحمه الله تعالى: إن أحداً لا يترك الطعام والشراب وينتظر ريثما يقول له القائلون: لماذا يأكل؟ ولماذا يشرب؟.. فهو يأكل ويشرب لأنه يشعر بالجوع والعطش لا لأن أحداً فسّر له علة الأكل وعلة الشراب، ولو أن الذي يسأل: لماذا يقرأ؟ ولماذا يتثقف؟ وكانت له نفس تجوع كما يجوع جسمه؛ لاستغنى عن سؤاله،

وأقبل على موائد الثقافة غير منتظر جواب ذلك السؤال.. فمن كان يسأل الناس على هذا النحو فخير له وللناس ألَّا يُجاب؛ لأنه لا يستفيد مما يسمع، ولا يستحق مؤنة الجواب. اهـ.

القراءة يا صاحبي تعلِّمُك كيف تأكل وتشرب، وكيف تسافر، ومن تصحب، وما البلاد الغامرة بمشاهد الربيع، وتستحق منك ليالي السفر! حتى لباسك وثوبك وأناقتك الشخصية تشارك القراءة في صناعتها، وتكتب حظها منها، وتجعلك أنيقاً في أعين الآخرين.

القراءة تجمّل لفظك، وتعينك على اختيار رائق الألفاظ، وتهذب خُلقك، وتفتح آفاق فكرك وعقلك، وتصنع لك مشاهد الجمال.

كم مرة نقلتك من أزمة، وفرّجت عنك مصيبة، وأخذتك من مساحة يأس إلى مشاهد الربيع، وقد تصبّر أحدهم على موت ولده بنسخ كتاب ابن القيم «عدة الصابرين» حتى أتى على نهايته وهو بعدُ في مصيبته!..

❁ ❁ ❁



تُخَفِّف عنك الضغوط

• **تخيّل مأزوماً من واقعه، ومضطهداً في زمانه، ومغموماً من ظروفه، ومتحيّراً في قراراته، ومتردداً في حلوله.. ثم تقع عينه على كتاب، فيقرأ حديثاً عن الفأل، وأحرفاً عن الأمل،** ومساحات فضيلة النهوض بعد الفشل، والقيام بعد القعود، والركض في طريق المجد الطويل بعد التوقف والإفلاس، والنهضة بعد اليأس والإخفاق!..

ـ **شكى ذات مرة لصديقه الأزمات والعقبات التي تواجهه في بيته ومع زوجه على وجه الخصوص،** وكثرة الاصطدام، واختلاق المشكلات، والنزوع إلى الخصام لأدنى عارض، وقد تأزّم واقعه، وبات الفراق أحد الحلول المطروحة في فكره قبل كثير من الحلول، فقام صديقه إلى مكتبته، ثم ألقى إليه **بكتاب يتحدث عن سيرة رسول الله ﷺ مع أزواجه،** وكيف كانت المشكلات تجري في بيوته ﷺ؛ حتى إنه خيّرهن في الفراق أو البقاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

وقرأ في ذات السياق قوله ﷺ: «**إنَّ المَرْأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوجَ، وإنَّ أعْوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعلاه؛ فإنْ ذهبتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنِ اسْتَمْتَعْتَ اسْتَمْتَعْتَ بها وفيها عِوَجٌ**».

وقرأ ثالثاً قوله ﷺ: «**لايَفْرَكْ مؤمنٌ مِنْ مؤمنةٍ، إنْ كَرِهَ منها خُلُقاً، رَضِيَ منها خُلُقاً آخَرَ**».

فهدأتْ نَفْسُه، وعاد تفكيره، وتغيَّرَتْ نظرته، فعادت الحياة تجري في بيته من جديد، وأخذت السعادة حظها من واقعه بعد أن أوشك على الظلام والضياع والفراق والشتات.

ـ وتواصل معي آخر ذات مرة في وسائل التواصل الاجتماعي؛ قال لي: حين رأيت غياب دور الإصلاح، وانتشار الفتن في كل طريق؛ كدتُ أقعد عن العمل، وأتخلَّى عن مشروعي، وأتخفف من أحمال رسالتي.. فوقعت عيني ذات ليلة على حرف يدعو للفأل، فأعاد توازني، وألقى بمشاهد الحياة في مشاعري، وعُدْت من جديد وقد كنت على شفير الهاوية.

وقُلْ مثل ذلك في كثير من المشكلات التي تواجهنا، والظروف التي تلقانا، والصعاب التي تزدحم في طريقنا؛ غالباً ما يبددها حرف كاتب، وأسطر كتاب، وحبر فأل في عارض

الطريق، حتى قال أحد الكُتَّاب: **لا يعز عليّ ســوى ترك مكتبتي الخاصة، فلولا الكتب في هذه الدنيا لوقعتُ من زمن طويل فريسةً لليأس**. اهـ.

ـ **كان منهمكاً في العمل، مثقلاً بأحمالــه للدرجة التي يعود بجزء من واجباته إلى البيت على حساب أسرته**، وتوسَّع الأمر إلى أن تأزمت نفسه، وكثر قلقها وشعثها، حتى في واجباته الروحية مع ربه تبارك وتعالى، وبدأ يشعر بشــتات يوشك به على ترك ذلك العمل، ثم هداه الله تعالى ذات يوم إلى **كتاب يتحدث عن فضيلة التوازن**، فعاد يشــرب من معينه، وتنفّس طويلاً بعد كرب عريض كاد يقضي على كل شيء.

ـ ومثله ذلك الذي **عاش عمره مشــتتاً يعمل في كل مكان**، ويجهد في كل مجال، ويحاول أن يشارك في كل شيء، حتى ألقى الله تعالى بصره على **كتاب يتحدث عــن التركيز**، فامتثل ما فيه، وبدأ في عناق هــذه الفضيلة، واليوم هو جزء مــن التاريخ الذي تقرؤه الأجيال.

• **القراءة كفيلة بإزاحة همومك، وتبديد مشكلاتك، وتوهين عقبات طريقك، فلا تســترخص وقتك في بناء هــذه المتعة في واقعك وفيها كل شيء.**

❁ ❁ ❁



٧ تؤَهِّلك للحياة

• القراءة لا تمنحك ثقافة مجردة من أثرها، ولا تهبك معارف مفصولة عن واقعها، وإنما تؤهِّلك للحياة، وتعينك على استثمار فرصها، وتمكنك من بلوغ آمالك من خلالها.

- **تخيّل الفارق الكبير بين من يملك مهارة في الحاسب الآلي كمثال، وآخر جاهل به**، الأول يقضي جل شؤونه من خلال هذه المهارة، ويُرقّي نفسه من خلال ذلك الجهاز، والآخر أُمِّيّ لا يستطيع أن يأخذ منه حظه، أو يستثمر ما فيه من أدوات وإمكانات تعينه على بناء مستقبله، فكيف إذا كانت الأنظمة الوظيفية في عالم اليوم تعتبر هذه المهارة أصلاً في كل المقابلات الوظيفية، وترى أن من لا يملك هذه المهارة أمِّيٌّ لا ينفع في شيء.

- ولو ألقيتَ ببصرك الناقد اليوم في دائرة حكومية أو أهلية على صانع الفرق، ومثير الدهشة في تلك المؤسسة؛ لوجدتَه **ذلك الذي لديه صلة عميقة بالكتاب**، ويملك مهارات ضخمة جعلته في

طلائع تلك المؤسسة، ومَكَّنَتْه من أن يكون الرجل الأول فيها بلا منافس.

- **وإذا أعدت النظر في علاقاتك الشخصية؛ فسترى ثمة فارقاً كبيراً للغاية بين من له علاقة بالكتاب وبين غيره**، فالقارئ يعرف خصائص النمو، ويدرك نمط الذين يتعامل معهم، ويلحظ مكونات البيئة والأصدقاء على الأشخاص، ويستطيع أن يُثري واقعه، ويبني علاقات ضخمة في مساحته، ويُحسّن استثمار ما حوله، بخلاف ذلك الأمي الذي لا يملك أدنى المهارات، ويقع في أدنى الأخطاء، وما تزيده الأيام إلّا إخفاقاً وتردِّياً وتخلُّفاً عن مواقع النجاح.

- **غالب الخلاف اليوم بين المرأة والرجل هو خلاف مبني على جهل كل طرف بشخصية الآخر**، وبظروفه النفسية والمشاعرية، وبطبيعة العلاقة معه، للدرجة التي يتم الانفصال بين بعض الأزواج وقد جاوزا الأربعين، وتشتتتْ بيوت بعد أن كانت كلمتها سواءً سنواتٍ طويلةً، **وكان يمكن لهذه العادة أن تُجري مشاعر الفرح والأُنس**، وتمد في خُلُق الإعذار بين الزوجين إلى ما شاء الله تعالى.

- **تخيّل الفارق بين رب أسرة قرأ سيرة نبيِّه ﷺ**، وأدرك أسرار نجاحه، وحاول أن يستثمر هذه المعرفة في تربية وتأهيل أسرته، **وآخر يجري في فلك تلك التربية التي تلقَّاها من أبيه في عصور**

الجهـــل وضعف العلم، وما يـــزال يتخبّط في إدارة أســـرته حتى تشظَّتْ وضاعت أو أوشكت على النهايات.

• **كيف تتعرّف علـــى ربك تعالى إذا كنـــتَ لا تقرأ؟!** كيف تتخيّل رحمته وعفوه وحلمه، وسخطه وعقوبته وغضبه؛ إذا كنت لا تقرأ؟!..

ـ **كيف ترى فصول الحياة للناهضين** في ركاب المجد إذا كنت لا تقرأ!..

ـ **كيف تتعرف على فصول حياة نبيك** ﷺ وســـيرته ورسالته ومشروعه وقضيته إذا لم تكن تقرأ؟!..

ـ **كيف تعيش زوجاً ممتعاً، وأباً فـــذّاً، ومعلّماً مبدعاً، وقائداً ملهماً؛ وأنت لا تقرأ؟!..**

• **القراءة هي كل شيء**، وإذا أردت أن تكون عضواً فاعلاً في البناء، ولبنة متينة في الإصلاح، وقوة تفيض الأفراح في كل واقع، وتكتب حظها من كل مكان؛ فليس أمامك ســـوى هذه المدهشة وسترى حينها الفرق.

❁ ❁ ❁

٨ تُمَتِّع عقلك ومشاعرك

• كم مرة كان في الدواء الذي يشـــربه الإنسان رغم مرارته صحته وعافيته! وأكثر الطرق جهداً وعنـــاء في حياتنا هي الطرق الأمتع في النهاية.

ـ **حين تزداد معرفتك تزداد متعتك**، وتنبعث في نفسك مشاهد الفـــرح والألق إلـــى أبعد مدى! كم مـــن معرفة أزاحـــت جهلاً، وأغارت على أوهـــام، وبَنَتْ للحياة معنى ملهماً بعد أن أوشـــك كثيرون على الظلام!..

ـ **من خـــلال القراءة تتحـــوّل حياتك من الجهـــل إلى العلم**، وتتحوّل في الوقت ذاته مشـــاهد طريقك من مشاهد مظلمة تتعثر فيهـا خطـاك، إلى مشـــاهد من نور تتجلـى فيهـا الحيـاة في كـل شيء.

ـ **القراءة تُلهم عقلك**، وتبعث فيه مشـــاهد الحركة والتفكير، وتنقله من حالة الركون التي يعيشها، إلى حالة الجد والنهضة التي

يجب أن يكون عليها، وما أنا قاص عليك مشاهد القراءة الممتعة في تفكير إنسان ونمط حياته وتجليات سلوكه، وفي المقابل ما أنا محدثك عن آثار فقدها فـــي تفكير آخر ونمـــط حياته وتجليات سلوكه في واقع الحياة.

- **تســـتطيع من خلال القراءة أن تســـافر إلى كل بلاد الدنيا،** وترى مفاتن تلك البـــلاد، وتعيش أحداث واقعهـــا، وتقف على مشاهدها الممتعة في أدق تفاصيلها وأنت جالس في بيتك، وقاعد على أريكتك.

ويمكنك أن تقرأ فصول التاريـــخ الممتعة، وحكايات الزمن المدهشة، وبينك وبينها قرون.

تخيّل قارئاً يجلس في مجلس فيروي لنا أخبار التاريخ، وسير الأعلام، ومشاهد البطولات، ويسرد علينا فصول الحياة الممتعة في تلك الحقبـــة من الزمن، وتخيّل في المقابل كم هي مشـــاهد المتعة في حياة الجماهير الذين يســـمعون هذه الفصول المدهشة تلك اللحظة، فضلاً عن الفصول الممتعة في حياته وواقعه.

تخيّل فصول ومشـــاهد ليلة من الليالي تحت ضوء القمر، أو في رواء حديقة ممتعة، أو على مشاهد غروب ليلة مدهشة بالفرح، وقارئ يقص عليك مشـــاهد قيس وليلى، وعنترة وعبلة، وجميل وبثينة، وكثيّر وعزة.. ويروي لك من فصول مواقف العشق والحب

التي جرت في غابر الزمن ما يروي مشــاعرك، ويغري نفســك بالحياة، أو يقص عليك مشــاهد حديث أبي زرع لأم زرع وقصة إحدى عشــرة امرأة من النســاء يتحدثن عن فصول حياتهن مع أولئك الأزواج.

• لو لم يكن من مشاهد القراءة إلا أنها تطمس صور الجهل، وتُحِيل مشــاهد الظلام إلى نور، وحديث الوهم إلى فصول من الحقائق، وترى الحياة وليس دونها شيء من العتام، لكفاها فضيلة ونفعاً.. **حتى قال العقاد** رحمه الله تعالى: **ليكن غرضك من القراءة اكتســاب قريحة مستقلة، وفكر واســع، وملكة تقوى على الابتكار؛ فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه.اهـ.**

وصدق من قال: **عــادة المطالعــة هي المتعــة الوحيدة التي لا زيف فيها، إنها تدوم عندما تتلاشى كل المتع الأخرى. اهـ.**





تُمَلِّكك القوة

• **الفرق بين القــارئ وغير القــارئ: أن الأول يملك عناصر القوة، ويستطيع التأثير**، ويصنع فارقاً في مساحته، ويكتب تأثيراً في المكان الذي يحضره، والمشـــهد الذي يشارك فيه.. **بخلاف الآخر الذي يقف كالّاً عن كل شـــيء**، ولا يُغْني في مشهد، ولا يكتب حظّاً من ألَقٍ في مساحة ما.

• **القراءة تملكك الحرية**؛ فلا يســـتطيع أي إنسانٍ أن يأسرك برأيه، أو يقنعك بفكرته، أو يدهشك بمشهد ما إلّا إذا أجلب على ذلك بالأدلة الكافية التي تعزِّز ذلك الرأي، وتقوِّي تلك الفكرة.. وفي القرآن حديـــث عن أثر فوات هذه القوة مـــن حياة أصحابها وضياعهم بســـبب الجهل والأوهام: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

• **القراءة تنقلك من كونـــك فرداً من الجماهير** التي تســـمع وتصفق للفكرة، وتبتهج بها بمجرد ســـماعها دون وعي وإدراك،

إلى ناقد وممحِّص لتلك الفكرة ما لم تكن مدعومة بالأدلة الكافية على صدقها وقوتها، وهي في الوقت ذاته تمنحك خيارات كثيرة جداً أمام الآراء المطروحة، والمفاهيم المنتشرة، والأفكار المبثوثة، وتعينك على البصيرة للاختيار الأمثل من هذه المعاني، أو ردها وعدم قبولها ودحضها من خلال ما تملك من دلائل وقرائن العلم.

كم مرة أعانتك القراءة على فرض رأيك وتوجهك ومشروعك وقيمك للعالمين مِنْ حولك، وجعلت المستمع إليك يرخي عنان سمعه وفكره لرأيك، ويستجيب لطرحك وأفكارك؛ لإدراكه أنك تملك من دلائل العلم ما لا يملك غيرك، وأحق بمشاهد التجارب الممتعة دون سواك.

• **أسوأ ما يصنعه الجهل فينا أنه يضع أمام الحقائق ركاماً من الأوهام، ويحجب عنا في مرات كثيرة أدلة تلك الحقائق،** ويقنعنا بأن هذه الأوهام هي ذات الحقيقة لا فرق، ونقع ضحية الجهل، ويكون ذلك على حساب ديننا وصحتنا وقضايانا الكبرى.. **والقراءة تمكننا من العلم، وتكتشف زيف تلك الأوهام وضعفها أمام الحقائق الكبرى،** ونسلم حينها من آفات الجهل، ونبقى على وعي بكل ما يدور حولنا، وما نراه في واقعنا، حتى قال أحد الفلاسفة: **لو خيرت بين عرش فارس وفكرة جديدة أقع عليها؛ لاخترت الفكرة.** اهـ.

١٠ تَصْنَع التغيير

• **التغيير لا يأتي إلَّا من خلال أفكار متينة ومفاهيم ضخمة، وأصل هذا المعنى وقف على الإرادة القوية والقرار الجاد، وهذان المعنيان وقف على القراءة وزاد العلم ونور البصيرة ومعرفة حقائق التاريخ**، وقَلَّ أن تجد متحمّساً لفكرة وحاملاً للوائها وجادّاً في الطريق الطويل إليها إلَّا وله علاقة بحرف العلم ومتين تجارب الناجحين.

• **في مرة يحملك كتابٌ على حمل لواء فكرة**، ويقنعك بأنها الطريق الأمثل لبناء مستقبلك وصناعة واقع أحلامك، وما يزال بك حتى تمسك بلوائها، وتصبح مغرماً بها وشغوفاً بأحداثها، وتتحوّل بعد زمن إلى جزء لا يتجزأ من فكرك وروحك ومشاعرك، ولولا أحلام ذلك الحرف لما كان لك فيها من شيء، ولا أدل على ذلك من **فكرة مشروع العمر** التي ربما لم تكن في فكر فلان من الناس؛ فإذا بها في النهاية أحلامه وأمانيه..

• **ومرة أخرى يقنعك كاتب ببنـــاء عادة في حياتك**، ويغريك بمشاهدها الممتعة، وما يزال بك حتى تذوق طعمها، وتجد أثرها، وتعيش لحظاتهـــا؛ فإذا بها تتحول إلى قناعـــة، وتصبح جزءاً من شخصيتك، ونمطاً من أنماط تفكيرك وسلوكك.

تخيّل مثلاً عادة المشـــي عند كثيرين؛ ربما كانت عند بعض الناس مجرد ضياع وقت، وتفريـــط في الأولويات، ثم إذا بها من خلال حرف كاتب وصدى صوت تجربته تتحول إلى عادة يومية، وفكرة ملازمة لواقعه..

وقد يصدمك آخر بخطر سلوك تمارسه، وقد كنت جازماً بأنه لا يقبل حتى مجرد النقاش، فإذا به في النهاية جريمة في واقعك، وخطر محدق بك، وقد يلقي بك للضياع؛ كالذي يعرض لك مثلاً خطر المشروبات الغازية، وقد كنت مولَعاً بها لدرجة القناعة، فإذا بها مع الزمن تصبح في فكرك وعقلك عادة سيئة تحاول الخلاص منها، وتتبنّى فكرة بيان خطرها ومحاربة تمددها في واقعك وواقع من حولك.

• **كل الأحداث الإيجابية فرع عن القراءة**، والمشاهد الممتعة جزء من أثر العلـــم، ولولا الكتـــاب لما عرفنا ســـلالم النجاح، وعقبات الطريق، ولما تاقت نفوسنا لعزائم الجد، وجلائل الأمور، ولو لم يكن من ذلك إلّا قول الشاعر:



إذَا غامَرْتَ في شَــرَفٍ مَرُومٍ	فلا تَقْنَــعْ بِمَــا دونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ المَوْتِ فــي أمرٍ حقيرٍ	كطعمِ المــوتِ في أمرٍ عظيمِ
يَرَى الجُبَنــاءُ أنَّ العَجْزَ عقلٌ	وَتلــكَ خطيئةُ الطَّبْــعِ اللَّئيمِ
وكلُّ شَجَاعَةٍ في المرءِ تُغْنِي	وَلَا مِثْلَ الشَّجاعَةِ في الحَكيمِ
وكمْ مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً	وآفَتُــهُ مِــنَ الفَهْمِ السَّــقيمِ
ولكــنْ تأخــذُ الآذانُ مِنْــه	على قَدْرِ القَرَائِــحِ والعُلومِ

• **التغيير فرع عن القراءة**، وقلَّ أن تجد قارئاً إلَّا ولديه تفاصيل ممتعة من تجارب الحياة، ومعارف متينة، وسـلوكات متجددة، **وأشبه بالموت أو قريباً من معناه حياة ذلك الذي لا يقرأ!..**

❁ ❁ ❁

١١ لتعيشَ أكثرَ من حياة

• كتب **العقاد** يقول: «لست أهوى القراءة لأكتب، ولا لأزداد عمراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا؛ وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري، **والقراءة وحدها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد**؛ لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب...

لا أحب الكتب لأنني زاهد في الحياة؛ ولكنني أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني.. ومهما يأكل الإنسان فإنه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة، ومهما يلبس فإنه لن يلبس على غير جسد واحد، ومهما يتنقل في البلاد فإنه لن يستطيع أن يحل في مكانين، **ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل وتتضاعف الصورة بين مرآتين**» اهـ.

وإذا أردت أن تعرف هذا المعنى وتقرأ تفاصيله الممتعة؛

فانظر إلى سير الكبار الذين رحلوا من فجر التاريخ وودعوا الدنيا، ولم ينفصلوا عنَّا يوماً من الأيام، بل الحقيقة أنهم أقرب إلينا من كثير من الأحياء.. من هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والعز بن عبد السلام، وابن حزم، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ لولا حرف العلم ومتين القراءة في حياتهم في مساحة من الزمن؟!.

• تخيّل حياة قارئ جاد، تحوّل في النهاية إلى كاتب ممتع، فأصبح صديقك الأول، وموجِّهك الكبير، وقائد نهضتك، ومن يأخذ بيدك من تيه الظلام والفوضى والمشكلات والأزمات إلى مسرح الحياة الكبير في كثير من المرات، وقد يكون في ذات سنك أو أقل منك بكثير وهو نائم في بيته أو مسافر في مهمته أو مشغول بهدفه ومشروعه، أو حتى ربما يكون مريضاً مقعداً؛ وهو في الوقت ذاته يدير شأنك ويرسم لك ولغيرك معالم المستقبل الكبير، **وكم من ناجح بعد إخفاق، وقائم من عثرات الطريق، ومتخرج بامتياز من فصول مشكلته وأزمته بسبب حرفه وكلمته!..**

• **القراءة توسِّع أثرك، وتمد في مساحاتك الإيجابية، وتزيد في عمرك الإنتاجي**، وكم هو الفرق بين قارئ يعيش أعماراً وحقباً في التاريخ، ويدير شأن العالم وهو قد توفِّي منذ من مئات السنين.. وجاهل لا صلة له بمعركة القراءة، وما زال هامشاً وسيظل حتى موعد الرحيل دون شيء!..



• **للذي يسأل: كيف يكون كاتباً متميزاً؟..**

وأعظم جواب لهذا أن يقال له: **لا بد أن تكون قارئاً متميزاً**، وإذا وجدت حرفاً ممتعاً فاعلم أن وراءه قارئاً فذّاً.

كل الكُتَّاب المتميزين هم أبناء هذه العادة الضخمة؛ رضعوا من ثديها حتى كانوا رحماً ونسباً، وما زالت تغذيهم بلبنها حتى كبروا وسطَّروا للأمم تاريخها ومجدها الكبير.

• وقد أرشد **الرافعي** رحمه الله تعالى سائلاً في هذا الباب، فقال له:

فإذا رغبت في أقرب الطرق إلى ذلك - إلى نيل الأدب - فاجتهد أن تكون مفكِّراً منتقداً، وعليك بقراءة كتب المعاني قبل كتب الألفاظ، وادرس ما تصل إليه يدك من كتب الإجتماع والفلسفة الأدبية.. واصرف همك من كتب الأدب العربي بادئ ذي بدء... إلى «رسائل» الجاحظ، و«كتاب الحيوان» و«البيان والتبيين» له، وتفقَّهْ في البلاغة بكتاب «المثل السائر»، وهذا

الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة في الانتقاد الأدبي وقد كنت شديد الولع به، ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ كتاب «نجعة الرائد» لليازجي، و«الألفاظ الكتابية» للهمذاني، وبالمطالعة في كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، وكتاب «زهر الآداب» الذي بهامشه..

ثم قال: **ورأس هذا الأمر بل سر النجاح فيه: أن تكون صبوراً**، وأن تعرف أن ما يستطيعه الرجل لا يستطيعه الطفل إلّا متى صار رجلاً، وبعبارة صريحة: إلا من انتظر سنوات كثيرة.. فإن دأبت في القراءة وأهملت الزمن ـ طال الوقت أو قصر ـ انتهى بك الزمن إلى يوم تكون تاريخاً لمجدك، وثواباً لجدك. اهـ.

وشَكَا له سائل ذات مرة ضعفَ ولده في الإنشاء، فقال له: وأما ضعف ابنك في الإنشاء، فلأنَّ الإنشاءَ فكرةٌ ولفظٌ، وما دام صغيراً ففكره ضعيف ولا سبيل إلى تقويته إلّا بأساليب خاصة، وأحسن طريقة: أن تدعه يقرأ أمامك في كل يوم قطعة من كتاب تختاره له، أو موضوعاً من كتاب مدرسي من كتب الإنشاء، ثم تناقشه فيما يفهمه من المقال، وتوضّح له الألفاظ والمعاني، فإذا فهم عشرين أو ثلاثين مقالاً على هذه الطريقة فإنه ينطلق في التعبير بسهولة، ويجمع في ذهنه معاني طيبة وألفاظاً كثيرة يعبّر بها، وأضف إلى ذلك أن تعطيه كل يوم بيتاً من الشعر يكون فيه

معنى حِسِّيٍّ، فيفهم البيت ويشرحه كتابة، ثم تصلح له فهمه إن أخطأ، ويعيد الكتابة على البيت مرة أو مرتين أو أكثر؛ فإن حفظ أربعين أو خمسين بيتاً، وفَهِم معانيها، وصار يحسن كتابتها؛ مرَّ بعد ذلك من تلقاء نفسه، ولو أنك أحسنت إلى ابنك لاشتغلت بتحفيظه قطعاً صغيرة من «كليلة ودمنــة» و«الدرة اليتيمة» لابن المقفّع بعد أن تشرحها له، وتعربها معه؛ فإن ذلك أفيد له وأجدى من كثير من الجهات. اهـ.

فهلّا اقتنعت بوصية هذا الأديب فائق الأسلوب؛ بأن إدمان القراءة هــو الطريق الأمثل لك ولولدك ولأجيــال الأمة إلى يوم الميعاد الكبير!..

• الذي يريد أن يكون كاتباً مفعماً بالحياة، وقادراً على إقناع قارئه، وصانعاً للتغيير من خلال حرفه؛ فعليه أن يتعرف على هذه الممتعة (القراءة).. يجب أن يقرأ ويقرأ ويقرأ حتى لا يترك كتاباً في الدنيا كلها إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، وسيكون حرفه حينها ملاذاً للمضطهدين، وراوياً للعطشى المجهدين، وسائقاً للعالم إلى مساحات الربيع، **وحرام ألف مرة على من يريد أن يؤلِّف وليس بينه وبين هذه العادة صلة رحم ووشيجة حب.**

❁ ❁ ❁



تُبَدِّد مخاوفَك

• قال لي ذات مرة: لدي عقدة كبيرة من التقدُّم أمام الناس وإلقاء أي كلمة، وأشعر بحرج كبير، وتواجهني مخاوف شديدة جدّاً، ولا أكاد أتمالك نفسي، وإذا حضرت لقاء أو نقاش فكرة؛ عشتُ قلقاً من وصول الدور إليَّ، وربما اختلقتُ الأعذار للخروج من ذلك اللقاء، وأجهد في الفرار قدر وسعي إن استطعت إلى ذلك سبيلاً، وما زالت هذه المخاوف تلاحقني في كل مرة وأبحث عن المخرج؛ فما الحل؟..

وآخر كان متخصصاً في اللغة العربية، وكلما حضر اجتماعاً أو ندوة أو لقاء شَعَر بالحرج، وبدأ يتصبب عرقاً، وفي كل مرة يرقب سؤالاً في إعراب جملة، وإذا سمعهم يتحدثون عن التخصصات وضعف المخرجات حاول جاهداً أن يطرح موضوعاً آخر علَّهم يخرجون من موضوع التخصص وما فيه، وفي مرات كثيرة يعتذر من الحضور خشية أن يُدار سؤال في العربية ولا يدرك جوابه..

وثالث في الشـريعة يعاني المعنى ذاته، ويتعرَّض لمواقف محرجة، ويشعر بالقلق في كل لقاء، وكلما أديرت مسألة فقهية اختلف فيها الناس؛ تشاغل عنهم وخرج من المجلس، وتظاهر بأنه على اتصال.. وكلها في الحقيقة حلول مصطنعة للخروج من مأزق التخصص الذي يعانيه..

ومثل ذلك المتخصِّص في الطب أو الهندسة أو في أي شأن آخر؛ يظل الجهـل يطاردهـم ويضطهد راحتهـم، ويُغِير على مشـاعرهم بالحزن، ويجلب عليهم الحسـرات فـي كل لقاء واجتماع.

إن مشـكلة الأول الذي لم يجسـر على التقدم أمام الناس، وشـعوره بالخوف والقلق والحـرج، مبناه على ضعـف تأهليه المعرفي، وأكبر عوائق ذلك التـردد: الجهل وخوف النقد، ويظل كلما رأى من هو أكبر منه علمـاً وأعمق منه فهماً؛ زادت نبضات قلبه، وخشـي الخطأ، وزادت جرعات التردد فـي حياته، وظل حبيسـاً للصفوف الخلفية حتى يموت.. **ولو درى أن المعرفة قوة تبدِّد مخاوف الإنسان، وترزقه الشجاعة، وتدفعه للتقدم للصفوف الأول، وتجعله حامل الراية، ولا يبالي بمن يراه بين يديه؛ لجعلها أصلاً في وقته، وعادة راتبة في يومه وليلته..**

وصاحب العربية كذلك يمكن للقـراءة في تخصصه نصف ساعة يومية أن تجعله بطلاً فيها، وصاحب راية، ويستطيع أن يبدد

جهل السائلين في كل مرة، ولو أن مثل هذا ركّز على «الآجرومية» فقط في العربية أسبوعاً واحداً، ومنحها وقته؛ لبدَّد مخاوفه، وبنى مستقبله، وكتب حظَّه من التأثير، وعاد بطلاً في ساحات العلم والمعرفة..

ومثل ذلك صاحب الشريعة، وكل صاحب تخصص ومهارة لا فرق، ما لم يكن الواحد منهم على علاقة بالكتاب حتى يسقي العطاش الذين يلوذون به يسألون الماء وإلَّا عاش زمناً في قلق الجهل.

• **القراءة هي الحل الأمثل لأمن قلبك ومشاعرك من الخوف والقلق والاضطراب، وكلما وهبتها وقتك جعلتك شجاعاً متيناً لا تبالي بعاديات الزمان، ولا تلقي بالاً لحوادث الطريق.**

* * *



الفصل الثاني:

كيف تبني عادة القراءة في حياتك؟

- التغيير صناعة شخصية.
- تخيَّلْ متعك القادمة.
- كُنْ متفائلاً بنجاحك.
- تذكُر تاريخك وسِيَرَ أسلافك.
- تخيَّلْ معركة الحياة.
- القناعة.
- الرغبة.
- تأمَّل مشاهدَ القرَّاء من حولك.
- تغلَّبْ على حيلك النفسية.
- تهيَّأْ لعقبات الطريق.
- أثقال البدايات.
- اختر كتبَ البدايات بعناية.
- تخلَّص من الأوهام.
- قلِّلْ مقروءَك في البدايات.
- كوِّن مكتبةً في بيتك.
- حدِّد وقتاً ملائماً للقراءة.
- حدِّد قائمة بكتب البدايات.
- شارِكْ ما قرأته مع الآخرين.
- اختر صاحباً قارئاً.
- حفِّز نفسك بمقروء ومسموع.
- شارِكْ في المجموعات والمسابقات القرائية.
- حضورُ معارض الكتب.
- حاجتُك للتضحيات.
- إصلاحُ ما بينك وبين الله.
- الدُّعاء.





التغيير صناعة شخصية

• **إذا أردت أن تكوّن هذه العادة (القراءة) في حياتك، وتصبح جزءاً من يومك وليلتك، وضرورة في واقعك؛ فلا بد أن تؤمن أولاً أنك قادر على ذلك**، وفي إمكانك أن تحوّل هذه الأمنية إلى واقع، وكل الذين لهم شأن بها ليسوا بأفضل ولا أكثر قدرة منك، والفرص التي لديك لتكوين هذه العادة أكثر ألف مرة من تلك الفرص التي كانت لدى الواحد منهم، فآمِنْ أولاً أن لديك كل شيء.

الأماني يا صاحبي لا تصنع واقعاً، والانتظار لا يأتي بجديد، والتسويف يقتلك ألف مرة قبل أن تصل إلى أحلامك، ولا تتوقع أن ينزل الله تعالى عليك توفيقه وأنت في جملة طوابير الانتظار، عليك أن تخرج من بين تلك الجموع المنتظرة، وتشق طريق أمانيك حتى تعثر على مرادك ولو بعد حين.

حين أراد **موسى** عليه السلام النجاة من بطش عدوه وهو قاب قوسين

منه أو أدنى، لم ينشق البحر من تلقاء نفسه، وإنما احتاج الخطوة الأولى التي كانت في إمكان موسى، فلما ضربه بعصاه انفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم.

وحين احتاجت **مريم** عليها السلام إلى شيء تأكله وهي في ظل النخلة؛ لم يسقط الله تعالى لها الرطب مع ضرورتها إلى ذلك، وإنما أمرها أن تشق الطريق إلى آمالها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥].

لقد جرت سنن الله تعالى أن التغيير مكلف، ويحتاج إلى خطوات جادة، ومبادرات فاعلة، وأسوأ الأفكار في قضية التغيير طوابير الانتظار التي تنتظر حدثاً خارجيّاً يصنع واقعها، ونازلة سماوية تحقق مرادها.

• إذا أردت أن تأخذ هذه العادة مكانها الطبيعي من سيرتك، وتصبح جزءاً من حياتك، وعادة أصيلة في يومك وليلتك؛ فعليك أن تبدأ فرضها في وقتك، وتقرر في الوقت ذاته إما أن تكون هذه العادة أو الموت، وحينها ستتنزل سنن الله تعالى وتجعلها واقعاً بعد أن كانت خيالاً، وحقيقة بعد أن كانت مجرد أماني.

لا تكثر من سؤال الآخرين (كيف أقرأ؟ متى أقرأ؟ ماذا أقرأ؟) **فلو وجدت كل شيء عندهم لن تجد منهم واحداً سيأخذ بيدك ويقيمك من مقعدك، ويأخذ كتاباً ويضعه في جوفك،** ويبيت يقرأ

عليك ويؤهلك للقناعة بها.. كل هذه أماني تموت عند نهاية آخر كلمة يقولونها لك..

الفصل في هذا الشأن أن تحدِّد كتاباً وتضعه في مكان بارز، وتقرر ألَّا تذهب لفراش نومك حتـــى تأخذ منه وردك، وتأتي منه على نهايـــة هدفـــك، وحينها ســـيتوافد عليك كثيـــرون يريدون تجربتك، ويودون سماع تفاصيل قصتك مع هذه الفاتنة الممتعة المدهشة في حياتك (القراءة).

❁ ❁ ❁





تَخَيَّلْ متعك القادمة

• **كل عادة جديدة تريد أن تجعلها جزءاً من شخصيتك، وتضع لها مساحة في برنامجك اليومي، ستظل شاقة في بدايتها، ومرهقة في خطواتها الأولى،** ومن فقهك وكمال وعيك: أن تحسب عوائدها ومتعها القادمة في حياتك، وتجعلها حاضرة وبارزة في مشاعرك، حتى تأخذ بيدك وتدفعك وتعينك على بلوغك أحلامك منها، وإلا ذبلت مشاعرك، وكَلّ عزمك، ولم تبلغ منها مناك في النهاية، وكم من عادة وأمنية دفعتنا لها أشواقنا في البدايات، ثم توقفت في عرض الطريق!..

• **من المتع التي يجب أن تكون حاضرة في ذهنك وأنت تتدرب وتتأهل على بناء هذه العادة: أنها ستخلق الأفراح في قلبك ومشاعرك إلى أقصى مدى..**

تخيّل وأنت تقرأ قصة غريق في شبه ظروفك كاد أن يلقي بنفسه ويكتب على نفسه الضياع، ثم ألقى الله تعالى له بكتاب يحكي له كيف نجّى ذلك الإنسان من الموت بعد أن كان وشيكاً

عليه، فأطبق كتابه وكفّن قصة اليأس من أصلها، ونهض من فراش نومه بعد أن كاد أن يكون في عداد المفقودين.

وتخيّل أن هذه الفاتنة (القراءة) بعد زمن من صحبتها ستجعلك قادراً على الحياة بأفضل مما كنت عليه ألف مرة، ستملكك القوة التي تجعلك كبيراً ومؤثراً في مساحتك، وسيحتاجك من حولك أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وسيرونك مورداً عذباً للجمال، وسيتوافد كثيرون للتعرف عليك والاستفادة منك؛ لأنك جزء من الربيع الذي ينتظرون، ومساحة من الحياة التي يبحثون عنها في كل حين.

• **من متع القراءة التي يجب أن تجري في مشاعرك وأنت تجهد في بنائها في شخصيتك: أنها تصحّح نظرتك في كل ما حولك، وتدفع بك للفأل، وتجري في مشاعرك مشاهد النعيم إلى أقصى مدى**، وكلما كثر الظلام من حولك أغارت عليه بأنوار الفجر، وبددت ذلك الظلام.

تخيّل أنك حين تملك هذه العادة يتلاشى المجهول في حياتك، ويتضح لك الطريق، وتبني كلَّ قراراتك أو جلَّها على الحقائق، وتموت الأوهام قبل أن تبلغك، وتبني قصوراً من المفاهيم الضخمة والأفكار الناهضة في فكرك وعقلك، حتى يخيّل إليك أنه لم يبق مجهول يحتاج إلى بيان، أو ظلام يحتاج إلى نور، أو وَهْم يحتاج إلى حقيقة.

إذا أردت أن تعرف مدى عظمـــة هذه العادة في حياتك، فارم ببصرك إلى جارك أو صديقك وزميلك ومن لا يملك هذه العادة في حياته ولا صلة لـــه بالكتاب، وتأمَّل فـــي واقعه، وانظر كيف يعيش في ذاته! وما أثره فيمن حوله! وتخيّل كيف رضي بأن يلقي نفسه في عداد الأموات وهو ما زال معدوداً في الأحياء!..

وكم من جاهل عالة على الآخرين حتى في أبسط ظروفه وأقل أحواله!..

وكم من قارئ ناهض استطاع أن يكوّن لنفسه واقعاً مؤثراً في بيئته التي يعيش فيها، ومساحته التي يجهد في بنائها، وعمله الذي يكتب فيه كل شيء!..

• **القـــراءة باختصـــار تجعلك بطلاً لا تستســـلم، وشـــجاعاً لا تتردد، وحرّاً لا تأســـرك الأفكار والمفاهيم العارية من الدليل، وتجعلك في النهاية ســـهماً في الإصلاح، ونجماً في أفق السماء، وتاريخاً حافلاً بالنجاح، ومؤثراً في واقعه، وصاحب يد طولى في مساحته،** ولو لم يكن منها إلا هذه لكانت حقيقة بأن تكون عادة في واقعك، وجزءاً لا يتجزأ من حياتك كل يوم.

❁ ❁ ❁

٣ كُنْ متفائلاً بنجاحك

• لا تبدأ بناء هذه العادة والشــكوك تداهمك أنك لن تنجح، ولن تبلغ غايتك ويظل الخوف والقلق يطاردان قلبك، ويساوران مشاعرك.. كن موقناً بنجاحك، ومتأكداً من بلوغك أملك ولو بعد حين.

ابدأ والفأل والأمل يملآن قلبك، والعزيمة تدفع بمشــاعرك، والطمأنينة تغمر شــعورك بالنهايات الممتعــة، ولن يحول بينك وبينها شيء، ومثلك أكبر من أن يســقط أو يتهاوى أو يخفق في تحقيق عادة تجري في حياة آلاف من البشــر هم أقل منك قدرة وعزيمة وفألاً وقوة بمرات كثيرة.

• كل الذين تراهم يقودون سياراتهم في الطرقات العامة وفي وســط الزحام الشــديد وفي أضيق الممرات هم مثلك تماماً في اكتســاب هذه العادة؛ كانت لهــم مجرد حلم، وكانــوا في بداية مشوارهم في بناء هذه المهارة لا تسعهم الطرقات العامة، وما زالوا يحاولون وهم عاقــدو العزم على بلوغ أمانيهــا، ثم أصبحوا في

النهاية كما تراهم اليوم يغامرون في وسط الزحام، ويدخلون في أضيق الممرات وكأنها من أفسح الأمكنة وأكثرها متعاً.. وقل مثل ذلك في مهارات كثيرة في الحياة بدأت من لا شيء، ثم صارت في النهاية كل شيء، ولعلك واحد من تلك الجموع التي جرَّبت القيادة في باكر أمرها وأول بداياتها في حياتك.

ـ ومن أقرب الأمثلة في هذا الشأن: مهارة الكتابة على لوحة المفاتيح في الحاسب الآلي؛ لو قُدّر أن يقع بصرك على أحد المبتدئين ـ كمثال ـ في بداية تعلُّمه لمهارة تعلم الحاسب الآلي؛ لبقيت تضحك زمناً طويلاً من معاناته، ولو قُدّر لك أن ترى هذا الذي ضحكت منه زمناً في بداية تعلمه لتلك المهارة، ورأيته بعد امتلاك تلك المهارة، لاستوقفك ذلك المشهد المغري بالإعجاب..

ـ ولو خيّل لك أن ترى مريداً لحفظ القرآن الكريم في أول يوم يدخل فيه حلقة المسجد ومَشاهد الاستغراب التي تستولي على مشاعره، والبون الكبير بين أول آية في المصحف وآخر آية فيه ومتى يقطعها، ولو أنك سمعت قراءته ذلك المساء لجزمت أن مثل هذا لا يمكن أن يصل إلى شيء.. وما هي إلَّا سنوات وإذا بك تحضر مناسبة حفل ختمه لكتاب الله تعالى وضبطه له، في مشهد غامر بالأفراح.

ـ بل رأيت من امتلك مهارة السباحة بعد أن عاش متردداً زمناً طويلاً، فعمد إليه أحد أصدقائه فرماه في المسبح فخرج من الجهة

المقابلة، ثم استهواه بعد ذلك الموقف، وكرره حتى صار ماهراً في النهايات.

إن مشهد بداياتك لتأسيس هذه العادة (القراءة) غير بعيد عن هذه المشاهد التي عرضتها لك، وقد بلغك أن كل أولئك بلغوا آمالهم وتحقق لهم ما يريدون؛ فما الذي ينقصك حتى تبلغ ما بلغوا، وتصل إلى ما وصلوا إليه.

• **إياك يا صاحبي واليأس! لا تكن فريسة للخوف والقلق والتشاؤم؛ فلا أعرف قاتلاً أسوأ من التردد**، وقد رأيت أناساً سقطوا من بدايات الطريق، ولم يقووا على تكرار المحاولة، وما زالوا مخفقين فاشلين مترددين، ورضوا أن يكونوا في صفوف الجماهير التي لا يسعها سوى التصفيق للمبدعين والناجحين.

كن صاحب الراية، وبطل اللحظة، وقائد الفكرة الملهمة، وصانع التغيير الكبير لعاداتك ومهاراتك وإمكاناتك، وتذكّر قول القائل:

ومَنْ يَتَهَيَّبْ صعودَ الجِبالِ يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بينَ الحُفَرْ

***





تَذَكَّرْ تاريخَك وسِيَرَ أسْلافك

• **إذا أردت أن تصنع فارقاً في حياتك، ومجداً في مساحتك، وتاريخـــاً في موقعك ودائـــرة تأثيرك؛ فانظر إلـــى الناجحين من حولك**، واملأ عينك من مشـــاهد المجد، وإذا شـــربت من تلك المشاهد المدهشة؛ فأســـرج ركاب خيلك، وأطلق له العنان حتى تبلغ ما بلـــغ القوم، وترد مـــا وردوا، ومن لم تدفعه نفســـه لهذه المعاني فلا مفروح به في شيء.

• في أحد فصول التاريـــخ: ذكر **أحمد بـــن عبد الملك**: أن صديقاً قصـــده في يوم عيد، فوجـــده داخـــل داره وبابه مفتوح، فجلس ينتظره، وأبطأ عليه ثم خرج إليه وهو ينظر في كتاب، فلم يشعر به حتى عثر فيه، فاعتذر له عن احتباسه عنه لشغله بمسألة عويصة لم يتمكن من تركها حتى فتـــح الله تعالى عليه، فقال له الرجل: حتى في يوم العيد؟! فقال: **إذا علت هذه النفس انصبت إلى هـــذه المعرفـــة، والله ما لـــي لـــذة ولا راحة في غيـــر النظر والقراءة**. اهـ.

وصدق رحمه الله .. وما العيد لولا هذه المشاهد المبهجة! وهذه المعاني السامقة في الطول!..

• وفي صفحة من صفحات التاريخ: وُجِد أن **ابن عطية** كرر «صحيح البخاري» سبع مئة مرة.

وأبو بكر الأبهري (ت ٣٧٥هـ) قرأ «مختصر ابن عبد الحكم» خمس مئة مرة، و«الأسدية» خمساً وسبعين مرة، و«الموطأ» خمساً وأربعين مرة.

ودرس **ابن التبان** «المدونة» ألف مرة..

فانظر إلى صناعة الأبطال، وتأمل هذه الهمم، وكم من قارئ عجز عن إتمام كتاب وهو يريد المجد زعم! والواحد من هؤلاء يقرأ متناً ألف مرة حتى لا يختل حرف العلم، ويسطو على الهروب والتمرد من ذاكرة صاحبه بعد أن ذاق معانيه، ورشف من نعيمه حتى الثمالة.

• وفي صفحة ناصعة من صفحات المجد: كان **أبو البركات بن تيمية** رحمه الله يدخل الخلاء ويقول لابنه: اقرأ وارفع صوتك حتى أسمع. اهـ.

وقد فقه أن سؤدد الواحد منهم ومجده وعزه في وقته، ومن استرق أوقاته لأدنى الأشياء ضاع أو كاد! وإن أمة تستثمر حتى وقت الخلاء لهي أمة يراد لها أن تمسك بعنان الشمس وهي في الفضاء.

وقال ابن الجوزي في «صيد خاطره»: **وإني أخبر عن حالي؛ ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أقرأه فكأني وقعت على كنز، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعدُ في الطلب..**

يا هذا عشرين ألف مجلد وليست كتاباً من أربعين صفحة أو كتيبات لو أكلها صاحبها ما أشفت له جوعاً، ولا أبردت له ظمأ، فضلاً أن تروي عطش الظامئين.

وكان **أبو داود** رحمه الله يخيط ثوبه ثم يوسّع أحد أكمامه ليكون موضعاً للكتب، فإذا أراد أن يذهب مكاناً ألقى بكتبه في ذلك الكم، واستثمر وقته في ذلك، وتحولت الثياب إلى مستودعات لمشاهد هذه الممتعة المدهشة، وما الأمة لولا هذه المعاني في غابر زمانها الفاخر بالتراث!..

وقرأ **ابن حجر** رحمه الله «صحيح البخاري» في عشرة مجالس من بعد صلاة الظهر حتى العصر، و«صحيح مسلم» في خمسة مجالس كل مجلس لا يقل عن أربع ساعات، وقرأ في مدة إقامته بدمشق ـ وكانت شهرين وعشرين يوماً ـ ما يزيد على المئة مجلد.. وحق له اليوم أن يؤم الأمة في أعظم كتاب بعد كتاب الله تعالى، ويصنع لها أحلاماً لم تكن لها على بال.

وكان **الألباني** يبقى في مكتبة الظاهرية ما يزيد على ثنتي

عشرة ساعة في اليوم يقرأ، وخرج لنا في النهاية بعلم تترحَّم عليه أمة الإسلام في الصباح والمساء.

وقال **أبو العباس المبرد**: ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: **الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي**؛ فأما الجاحظ فكان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، وأما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفّه، فإذا قام بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي أخرج الكتاب فجعل ينظر فيه وهو يمشي، ثم يصنع ذلك في رجوعه، وأما إسماعيل فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلب الكتب لطلب كتاب يقرأ فيه، وأمة لا تصنع مثل هذه المشاهد المبهجة في واقعها لا تستحق شرف البقاء.

وكان **أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي** يقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري؛ حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة؛ أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح؛ فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره.

وأعظم ما في صنائع الكبار تقديس الأوقات، وتجريم ضياعها، حتى كان الواحد منهم أشح بوقته منه على ديناره ودرهمه.

فما أنت صانع وهؤلاء أجدادك وكبارك وصناع مجدك وكُتّاب تاريخك وحضارتك! ومن لم تحركه هذه الأخبار للحاق القوم

وإدراكهم وصناعة مشـاهد الحياة الحاضرة كالأمس؛ فلا مفروح بحياته ولو عاش ما بقيت الدنيا، **وإنـا لله وإنا إليه راجعون على طاقات يمكنها أن تصنع كل شـيء وما زالت تعبث بها الهوامش إلى أقصى مدى!..**



٥ تَخَيَّلْ معركةَ الحياة

• من أنت؟ هل تصلـــح لمهمات الدهـــر؟.. إذا قيل لك بأن الحياة صراع من أجل فكـــرة ومذهب وعقيدة؛ هـــل تصلح فيها للنزال؟.. إذا لم تمثِّلْ دينك ومنهجك وعقيدتك؛ فمن يمثلها؟ من يســـتطيع أن يحمي حوزته، ويذود عن مســـاحته، ويصنع دائرة تأثيره، ويكتب حظه في الدارين كما يشاء..

تخيّل أنك جزء من الصف، وفرع مـــن ذلك الأصل الكبير، ولبنة في بناء أمتك؛ ثم ليس لديك قدرة علـــى بناء الفكرة التي تســـتطيع أن تناهض بها عدوك، وتقـــف بها في وجـــه الباطل، وتكرس مفاهيم الحق، وتصنع بها مساحات الربيع الخضراء في واقعك!..

• هل سبق أن قرأت تقريراً يتحدث عنك، عن همومك، عن شخصيتك وواقعك؟ هل سبق أن تعرضت لبيان يكشف لك الجزء الأكثر ظلمة من حياتك؟..

تخيّل أنـك تقرأ هـذا التقرير الصـادر عن اليونسـكو عام (٢٠٠٣م): أن كل (٨٠) شخصاً عربيّاً يقرؤون كتاباً واحداً في السنة، والمواطن الأوربي يقرأ (٣٥) كتاباً في السـنة، والإسرائيلي يقرأ (٤٠) كتاباً في السنة..

وتقرأ في الوقـت ذاته تقريـر التنمية الثقافية لعـام (٢٠١١م) الصادر عن مؤسسة الفكر العربي، الذي يقول ويؤكد: أنَّ العربي يقرأ بمعدل (٦) دقائق سـنويّاً، بينما يقرأ الأوربي بمعدل (٢٠٠) ساعة سنويّاً.

ماذا لو أنك قرأت هذه التقارير التي يعدها العالم اليوم جزءاً من الحقائق عنك، وتاريخاً شـاهداً علـى إخفاقك وضعفك في أعظم المعاني نهضة وتحدياً في واقع الأفراد والجماعات والأمم؛ ماذا ستصنع؟ **ماذا سيكون دورك والعالم من حولك يقرأ هذا على سبيل التهكم: أنك واحد من شعب أمي، وفرد من جماعة متأخرة، ولبنة من صف يرسف في قيود الجهل، ولا يعرف الطريق الأوسع إلى نهضة الأمم والأفراد؟..**

إن هذه الإحصائيات اليوم في مؤسسات العالم الرسمية والتي تقع تحت أيدي المثقفين في كل مؤتمر ولقاء ومناسبة، تتحدث عن أول وأعظم وأهم أسباب النهضة في العالم كله، وأول ما في هذه التقارير أنها تتحدث عن شـعب أعزل من الفكرة الناهضة، وأضعف ما يكون في العلاقة بأعظم أسـباب التقدم؛ فما السبيل

إلى قلب الطاولة؟ ما الطريق إلى نسف هذه التقارير التي يتداولها العالم عني وعنك؟ كيف نحيل الصحراء القاحلة إلى ربيع؟ ونبني مقابل الأوهام حقائق لا تقبل التغيير؟.. **كيف السـبيل إلى تغيير قناعات العالم عني وعنك وعن العالم الإسـلامي والعربي والأمة الناهضة في تاريخ الحياة الطويل؟..**

• **أول الطرق وأهم الخطوات: أن نتخذ وإياك قراراً تصعد فيه عقولنا وأفكارنا الناهضة أولاً إلى مجدها وعزها وسؤددها وشرفها قبل أن تثبت لأحد من العالم من حولنا**، من الضرورة أن نشـرب من ماء الحياة، ونرتع في ربيعها قبل كل شيء، دعنا وإياك نجرب هذه المتعة المدهشـة التي حُرمنا منها زمنـاً طويلاً، ونأتي على آمالنا منها كما نشاء!..

مسؤوليتي ومسؤوليتك أن نثبت أن ما بأيدي العالم اليوم من إحصاءات إنما هي مرحلة لها ظروفها وملابساتها وواقعها، وليست هي وجهنا الحضاري الحقيقي.. وأيامنـا القادمة هي الدليل، وأنا وإياك لبنات مع كثيرين سنكون وجهنا الحضاري، وسنبني لأمتنا بإذن الله تعالى عزها المنشود، وسيتحدث العالم قريباً عن مسلم يمسك بعنان السماء.

❁ ❁ ❁



القناعـة

• **إذا أردت أن تبني واقعاً لهذه العادة (القراءة) في حياتك؛ فلا بد أن تكون مقتنعاً بقيمتها وأهميتها في حياتك، بل ضرورتها القصوى في نهضتك وبناء شخصيتك وصقل مهاراتك وتكوين ثقافتك، يجب أن تكون لديك القناعة بأنه لا بديل عن هذه العادة سوى الموت.**

كل العادات الإيجابية والسلوكات الحضارية ماتت وضاعت وتوقفت في حياة كثيرين؛ لأن أصحابها لم تكن لديهم القناعة الكافية بضرورتها في واقعهم، بل هي مجرد عادات لا يتوقف عليها شيء في النهاية، وهذا المعتقد كان كافياً في ضياع مقدرات كبرى في حياة الإنسان، وفي مرات كثيرة يمكنك أن تورد حصانك للماء، ولكنك لن تجبره على الشرب من ذلك الماء.

• **لبناء هذه العادة معطيات كثيرة جدّاً تجعلنا نقرر أن تكون هذه العادة جزءاً لا يتجزأ من حياتنا الشخصية وبرامجنا اليومية،** وعادتنا التي لا يمكن أن نتخلف عنها في يوم من الأيام..

ومن تلك المعطيات: أن هذه العادة كفيلة ببناء سعادتك، وكم من معرفة صنعت واقعاً مشــرقاً في حياة صاحبها! إنك حين تقرأ تحارب جهلك، وتطارد ظلامك، وتُغِير على مفاهيمك الخاطئة، وتبني لنفسك مستقبلاً يكتب حظوظك كما تشاء.

كم من تصــوُّرٍ خاطئ أجهضته القراءة! وكــم من وهمٍ طارَدَ صاحبه زمناً طويلاً ثم أغارت عليه القراءة ومحته مع مرور الأيام من فكر صاحبه وواقعه وشخصيته!..

تخيّل حياة عروســين في باكر أيامهما؛ بدأت حياتهما على الجهل، والتقيا لأول مرة لا يعرفان شيئاً عن مقومات نجاح هذه العلاقة، لايعرف الرجل أســرار المرأة وعاطفتها الجياشة، وكيف يتعامل معها؟ ومتى؟ وما الطريق الأنســب لخطاب عقلها وخلق مشــاعر الفرح في واقعها؟! وهي في المقابل لا تعرف شيئاً عن الرجــل إلا أحاديث المجالــس وأكثرها أوهام لا دليــل عليها.. وتصوّر في النهاية أنهما يعيشــان كل يوم وكل واحد منهم يعيش لذاته ويريد سعادته ويبحث عن رغباته، وفاتهما في النهاية أنهما يتباعدان كل يوم عن بعضهما، وتزيد المســافة المقطوعة باتجاه الخلاف، حتى يأتي موعد الطلاق كنتيجة حتمية لذلك الجهل في واقعهما..

وتخيّل في المقابل أباً أو معلماً أو قائداً في مؤسســة، وكل هؤلاء لا علاقة لهم بهذه العادة، وكل واحد يبذل من وقته وفكره

وجهده كل يوم، ويحسب أنه يبني في لبنات مشروعه، ويشيّد في بناء مستقبله، وفاته أنه يوقد كل يوم عوداً من ثقاب، ويشعل فيها فتيلاً من نار، وهو لا يدري، وعواقب الجهل فوق ذلك بكثير!..

• **إذا أردنا أن نبني هذه العادة في حياتنا فيجب أن نؤمن إيماناً عميقاً أن القراءة من أهم القضايا في تجليات حياتنا السعيدة، وهي أكبر الأسباب في خلق ودفع مواردنا الضخمة للنجاح،** وبها ومن خلالها يمكن أن نبلغ آمالنا التي نشـتاق إليها، ونصل لأحلامنا التي نريدها، ونأتي على كل شيء جميل، وليس لفواتها من حياتنا سوى الحرمان والظلام والجهل والضياع.





الرغبة

• **لا يمكن لشـــيء أن يتحقق وأنت لا ترغب فيه، ولا يمكن لشيء أن يتخلف في الأصل وأنت راغب فيه..**

إذا وُجدت الرغبة توجه الإنسان إلى ما يريد، وصنع كل طريق حتى يبلغ رغبته ويصل إلى مناه، وكل الذين لم يصلوا إلى أمانيهم ويعتذرون بجملة من الظروف والعقبات؛ إنما يوهمون أنفســـهم فحســـب، ولو كانوا راغبين فيها لأجلبوا عليها بخيلهم ورَجِلهم حتى باتت واقعاً في الحياة.

• **الرغبة** هي التي جعلت إنســـاناً يقود السيارة، وجعلت آخر يدير شأن مهارة الحاسب الآلي بكفاءة عالية، وأغرت ثالثاً بركوب الفضاء، ودفعت رابعاً أن يسافر إلى أقصى الأرض من أجل دراسة رغم ظروفه المادية والأســرية، وما زالت بخامس حتى بلغ قعر البحار.. ولولاها بعد توفيق الله تعالى لقعد كل هؤلاء في منتصف الطريق شـــاكين باكين ظروف زمانهم وأزمـــات واقعهم وعقبات

طريقهم حتى الموت، وما القراءة إلا فصل من فصول، وعادة من عادات، وشيء من كثير، ومثلك يستطيع أن يكتب حظه ويأتي على مراده منها متى شاء.

• **الرغبة نصف هدفك إن لم تكن كله، وإذا وجدت قطعت مسافات الأوهام العارضة في الطريق، وقضت على كثير من التصورات الخاطئة، وهي في الأصل لا تعترف بالعقبات، ولا تستسلم للظروف، وتؤمن إيماناً كبيراً بأنه لا أحد يحول بينها وبين ما تريد مهما كانت العقبات.**

سأل شابٌ آخرَ عن سر النجاح، فأجابه الآخر: هي الدوافع. فسأله: ومن أين تأتي هذه الدوافع؟ فقال له: من رغباتك المشتعلة. ثم سأله: ومن أين تأتي الرغبات المشتعلة؟ فأخذ وعاء كبيراً وملأه ماء، ثم طلب من الشاب أن يحدّق في الماء بصورة كبيرة، ثم دفع برأسه في الماء وضغط عليه وهو يوشك على الغرق، وبدأ الشاب يحاول الخروج من المأزق بمحاولات متفرقة، غير أنه حين أحس بخطر الموت يداهمه وأوشك على الهلاك دفع بكل ما يملك لإنقاذ نفسه، ثم أخرج رأسه بعد عناء.. فالتفت غاضباً إلى صاحبه: لم فعلت هذا؟ فقال له: في الثواني الأولى كنت تحاول الخروج، ولكن دوافعك لم تكن كافية للخلاص من يدي، وحين شارفت على الغرق وصلت دوافعك لإنقاذ نفسك إلى أعلى ما تملك، فدفعتني وخلصت رأسك رغم ما كنت أبذله من قوة.. ثم قال له:

يا بني، **عندما تكون لديك الرغبة المشتعلة؛ فلن يستطيع أحد أن يقف أمامك أو يقاومك مهما كانت قوته التي يملكها ذلك الحين.**

• **الرغبة إذا وجدت أصبح كل شـــيء ممكنـــاً**، تتحوَّل حينها الظروف الصعبة إلى مجرد عقبات صغيرة في طريق فيه خيارات كثيرة، وتتحوَّل حينها الظروف والأزمات إلى أشياء ممكنة قابلة للحلول والتغلب عليها، ويصبح البعيد شيئاً قريباً ممتعاً، والواقع الصعب من أسهل الأشياء، وتتبدل عقائد: غير ممكن، ومستحيل، وصعب.. إلى: سهل، وممكن، وقريب.. **والقراءة عادة تستحق هذا الشغف، وإذا أقبلت إليها راغباً اســـتحالت كل الظروف، وباتت شيئاً ممكناً، وقد لا تحتاج إلى كبير عناء.**

***

٨ تأمَّلْ مَشاهدَ القُرَّاء من حولك

• **في مـــرات كثيرة تظـــل كل الأدلة على صدق شـــيء قابلة للنقاش؛ إلَّا مشـــاهد القدوة** التي تكتحل بهـــا العين في كل مرة، وتروى منها الروح حتى الثمالة، ويجدها الإنسان معه في المساحة ذاتها، وتمر بالظروف ذاتها، ومع ذلك تكتب حظها؛ فتحيل قواعد النجاح التي نقرؤها ونسمع بها إلى مشاهد حية تكفي عن كثير من القيل.

• **وإذا أردت أن تحيي هذه العادة في واقعك؛ فانظر إلى القُرّاء عبر التاريخ**، لترى تلك المشاهد المدهشة التي أحدثتها القراءة في واقعهم، حتى حوَّلتهم إلـــى نجوم متلألئة في ســـاحات النجاح والإبداع.

ـ عاش **ابن عباس** رضي الله عنه كبيراً بالعلم، عظيمـــاً بالقراءة، مثيراً بهذه المعانـــي، وكان عمر الفاروق رضي الله عنه مع جلالـــة قدرته وقوته وشدته يدخله مجالس كبار الصحابة وهو صغير؛ لشأن العلم في

حياته.. ولمّا عرف عمرُ رضي الله عنه أن حضوره كان يفتح جملة أسئلة لصحابة رسول الله ﷺ تحتاج إلى جواب؛ فسألهم ذات يوم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، فأخذوا فيها وأعطوا، ولم يأتوا على معناها الذي أراد الله تعالى، فالتفت إلى ابن عباس فسأله، فقال الصغير الحبر: إنما هو أجَلُ رسول الله ﷺ. فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقد استنابه عليّ رضي الله عنه على البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين، فخطب بهم في عرفات، وفسّر فيها سورة البقرة ـ وفي رواية: سورة النور ـ قال مَنْ سمعه: فسّر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا جميعاً..

وكان يسمى البحر لكثرة علمه.. وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس؛ أكثر فقهاً، ولا أعظم هيبة؛ أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه، وأصحاب الشعر يسألونه؛ فكلهم يصدر في وادٍ واسع، وكل هذا وهو أعمى قد ذهب بصره في أواخر أيام حياته.

ـ التفت النبيُّ ﷺ **ذات يوم إلى ابن مسعود،** فقال ﷺ: «**كنيّف امتلأ علماً**».. وهو ذلك الرجل القصير النحيل دقيق الساقين، وكان محسوباً في عداد الفقهاء والقرّاء والمحدِّثين.

ـ وقُلْ مثل ذلك عن **عطاء بن أبي رباح** رحمه الله تعالى؛ مولى من

الموالي، وكان أســود أعور أفطس أشل أعرج، وعمي بعد ذلك، وكان يُنادَى في أهل مكة في زمان بنــي أمية: لا يفتي الناسَ إلا عطاء..

فتأمل صنائع هذه العادة في هــؤلاء المعوقين، وكيف وردت بهم إلى المعالي، وبات فوق ما نتخيل في كثير من الأحيان، وما زال العالَم يستغفر لهم ويترحم عليهم إلى يوم الدين.

• إذا لم تشــبعك هذه الأمثلة، ولم تَرْوِ عطشك لبعدهم عن زمانك؛ فتأمل مَنْ حولك، ومن هم في زمانك، وسترى ما يشبع روحك، ويقر عينك؛ **مــن أفراد صعدت بهم القــراءة إلى أرقى أحلامهم، وباتوا ملاذ النــاس في حل إشــكالاتهم، وفقهوا من الحياة حتى رووا**.. وانظر إلى أولئك الذيــن لا علاقة لهم بهذه المدهشــة، وقيّم نفســك في أي الفريقين أنت، وســترى حينها المسافة الشاسعة بين الفريقين.

❁ ❁ ❁

٩ تغلَّبْ على حِيَلكَ النفسية

• التغيير مكلف ومجهد، ويحتاج في مرات كثيرة إلى طاقات ضخمة، وقدرات فائقة؛ للتفوق على حاجز البدايات فيه، ونظير هذه الكلفة وتلك المشاق نحاول جاهدين أن نختلق أعذراً نتخلَّص بها من تلك التبعات.

من السهولة بمكان أن تتخلص من أي مشروع أو فكرة أو حتى بناء عادة في واقعك، وترمي بتبعات ذلك التخلف على واقعك وظروفك وبيئتك وما حولك من العقبات، وستجد حينها ألف واحد يعذرك، ويقف إلى جوارك مُطَمْئناً لك بأن الحياة لا تستحق كل هذا العناء، ومن حقك أن تأخذ نفسك حريتها، ولا تُعرّض مشاعرك للقلق والبؤس.. ولكن الحقيقة التي يجب ألَّا تفارق ذهنك أن هذا الذي يقال لك إنما هي مجرد مسكِّنات لحالات الإخفاق التي تعيشها في واقعك.

• كثيرون من الذين قعدوا في بداية الطريق أو منتصفه يرددون: (صعب، لا أستطيع، لا أقدر، حاولت، غير ممكن،

جربت، الظروف لا تساعد، لم أجد من يعينني، البيئة لا تأخذ بيدك ولا تصنع في واقعك النجاح).. **فما صنعت لهم هذه الأعذار سوى الرضا بالدون، والقناعة بالصفوف المتأخرة، والبقاء في هوامش الضياع**، وذهب غيرهم حرّاً متمرداً على هذه القناعات، وهم ما زالوا يضخون هذه الأنفاس البائسة في واقعهم في كل مرة، ولا جديد سوى أننا نبحث عن أقنعة نحتمي بها من الفشل الذي خضناه، والضياع الذي نعيشه في كل حين.

ثمة أناس معك في البيئة ذاتها والظروف ذاتها أو أقل رفضوا الاستسلام، وصعدوا سلم المجد، وخرجوا من دوائر الأوهام إلى الحقائق، ورفضوا أن يبقوا أسرى لفكرة أو مفهوم أو تصور بائس في الحياة.

• **ماذا لو أنك بدأت قرارك، وصنعت قضيتك، وبدأت في بناء عادتك، ولم تسمح لنفسك أن تلتفت لعوائق الطريق!** ماذا لو أنك رفضت هذه القناعات من حياتك، وملأت نفسك فألاً وأملاً على تخطي ظروفك وواقعك، وقررت أن شراعك يكفي لخوض غمار البحر.. وإني على يقين أن قدراتك وإمكاناتك كنور الفجر الذي يبدد حالك الظلام.

***

١٠ تهيَّأْ لِعَقَبات الطريق

• **قبل أن تبدأ ببناء هذه العادة (القراءة)؛ ليكن لديك يقين بأن عثرات الطريق جـــزء من النجاح**، وأن عُلُوَّك في النهاية مســـبوق بجملة من العثرات من فجر التاريخ إلى يومك هذا لا فرق.

كل الناجحين الذين تراهم على شُـــرفات المســـتقبل، وفي نهايات الطريق، وعلى مدارج الشـــرف والتكريم؛ سقطوا مراراً، وتعثَّروا، وفي مرات كثيرة توقَّفوا زمناً ثم عادوا بعدما أخذوا من الإخفاق جرعات كافية للمضي من جديد.. فلا تقلق على توقفك وعثرات طريقك والأزمـــات التي تواجهك في بنـــاء هذه الفاتنة المدهشـــة في مســـتقبل أيامك؛ فإنما هي ثمن نجاحـــك القادم، وعربون طلائع المجد في مستقبلك.

• **طبيعي جدّاً أن تعرض لك عقبات نفسية ومشاعرية تحاول أن تثنيك عن مواصلة الطريق**، وقد تبدأ محفوفاً بقلق يســـاورك، وقد تبدأ متردداً في قناعتـــك أصلاً بالفكرة، وقـــد يقال لك: إن كثيرين عاشوا من دونها ولم ينقصهم شيء، وقد تبدأ وتأخذ زمناً

وتصطدم بقلة الرغبة وضعف الإقبال وثقل الوقت المستقطع فيها، وقد تستمر ولا تجد منفعة عاجلة تمنحك الدافعية على مواصلة الطريق، وقد لا تجد الفكرة الممتعة التي تبحث عنها والتي مَنّاك بها المادحون، وقد تقف على نصوص لا تفهمها فتخلق لديك إشكالاً وتحتاج إلى سؤال وبيان، وقد تجد بأن بناء هذه العادة يحتاج مكاناً مناسباً، ووقتاً مناسباً كذلك؛ ولا بد من استقرارك النفسي وصفاء مشاعرك، وتحتاج أن تستقطع لها من وقتك ما يكفي.. كل ذلك ممكن، وقد تواجهه كله أو بعضه؛ فهيِّئ نفسك لكل ذلك؛ خاصة في بداية الطريق.

• **عليك أن تؤمن: أن النجاح لا يأتي حتى يختبر مهاراتك وإمكاناتك، ويقيس همومك، ويرى قدراتك على تحمل أثقال الطريق**؛ فإن وجدك تستحق المجد وأهلاً للمعالي وبطلاً لا تعيقه الظروف؛ مَكّنك من فكرتك، وبلّغك عادتك، وأوصلك إلى ما تتمنّى، ومَتَّعك في الدارين.

• **جزء من مشكلاتنا: أننا نريد مستقبلاً مبهجاً بأقل التكاليف،** نعتقد أن النجاح في متناول يد كل طالب، وفي إمكان كل إنسان.. ولو كانت هذه الحقائق لكان أولى بها رسول الله ﷺ وقد بذل كل شيء، ودفع دماء جسده ودموع عينيه وهموم مشاعره في سبيل مشروعه وفكرته وقضيته، ولم يصل إلى ذلك حتى استرخص كل شيء..

وهذه سنن الله تعالى في كل شيء.. ومن أراد أن يصنع مستقبلاً حافلاً فليبدأ وهو يدرك أنه لا بد أن يلعق الصبر، وأنه سيواجه بعض ما يختبر عزيمته، وتقاس بها ومن خلالها أحلامه في الدارين.

***



أثقال البدايات

• **البدايات أشق المراحل في بناء العادات، وتَعَلُّم المهارات، واعتناق الأفكار.. ومن تخطَّى هذه المرحلة سهل عليه ما بعدها، وبلغ من ذلك أمانيه في أقرب الأوقات،** وفِقْه هذا المعنى وإدراك هذه المسألة والعناية بها يسهّل ما بعدها، ويعين صاحبها على بلوغ أمانيه فيها ولو بعد حين.

لعلك مارست ورأيت من يمارس القيادة في باكر تجربته، ويأخذ بمقود تلك السيارة وهو يعيش أجواء من الحرج والضيق والقلق، وما يزال كذلك زمناً من عمره حتى يجتاز تلك البدايات ويصبح قائداً ماهراً في الطريق، وبعض من مارس هذا الدور ومر بالتجربة ذاتها لم يتحمّل مشاعر القلق والحرج، فنزل من سيارته وما يزال يركب مع الآخرين..

وقُلْ مثل ذلك من بدأ تجربة الغوص أو عادة المشي أو بدايات مهمة شاقة كالدراسة ونحو ذلك؛ يبدأ محفوفاً بمخاطر كثيرة، وقلق يصاحب مشاعره؛ فإن اجتاز هذه البدايات؛ تحقق له

ما يريـــد، وانتقل إلى أكبـــر منها، وإلا قعد به الخـــوف في بداية الطريق، وتخلّى عن كل ما ينفع نفســـه ويدفـــع بمهامه ومهاراته للتقدم والاستمرار.

• **إذا أردت أن تنجح فلتبدأ في بناء مهاراتك وعاداتك ولديك معرفة بأثقال البدايات، ويجب أن يرافق هـــذا المعرفة فأل بأنها مجرد مسافة؛ الصبر فيها كفيل بتجاوزها وقطع مراحلها مبكِّراً.**

يجب أن تعلم أن للقراءة متعاً خيالية جدّاً، ولكن هذه المتع مسبوقة بشـــيء من التعب وجرعات الألم وقســـوة البدايات في مرات كثيرة، ومن صابر حتى يجاوز تلك البدايات ورد إلى الربيع وأخذ منه كل شيء.

المسافة الفاصلة بين بداية الطريق ومتعة القراءة شبيهة إلى حد كبير بالمســـافة المقطوعة من طريق طويل، والذي يحتاج منك أن ترصف هذه القطع حتى تتجـــاوز تلك العقبة؛ غير أن هذا الرصف لا يأتي إلا بشـــيء من الوقـــت والجهد والعرق، ومواصلة العمل وتحمل المشاق؛ فإذا بك تطوي تلك المشكلة وتجاوزها، وتلقى طريقك المعبَّد، وتمضي لحاجتك وتنســـى كل شيء.

• **حين تقرّب كتابك الأول ابدأ وفي فكرك أن للبدايات ثمناً، ولا يمكن أن تبدأ مســـتمتعاً، بل ســـتعاني وتتعب وتتجالد تلك**

اللحظات، ولكنها مقبلة بك على أشــواق لم تكن لك على بال، وأنا كفيل وضامن لك بها المعنى الكبير في النهايات، وغارم لك إن كنت جاداً وبطلاً إن لم تجد ما وعدتك في النهايات.







١٢ اختر كُتُبَ البدايات بعناية

• **حين تتهيأ نفسيّاً ومشـــاعريّاً، وتصبح جاهزاً ومقتنعاً ببناء هذه العادة (القراءة) في حياتك؛ فلا تبدأ مجازفة وبأي كتاب؛ فإن هذا أضر ما عليك، وقد يؤخر بناء هذه العادة في واقعك زمناً، أو قد يحرمك منها مدى الحياة.**

إن جزءاً من مشكلاتنا: أننا نسمع عن أثر هذه الفاتنة في حياة الناس، ثم نعود إلى بيوتنا ونمسك أي كتاب، أو نمر بأي مكتبة ونشتري كتباً بغية تحقيق مُتع هذه العادة، ونتفاجأ أننا أمام طلاسم وعبارات لا تُفهم، وإشارات لا تُســتوعب؛ لأن الكتاب الذي تم اختياره غير مناسب لمرحلة البدايات، وربما غير مناسب لبعض الأشــخاص في كل مراحلهم على الإطلاق، وتكــون بدايته هي النهاية في العلاقة مع هذه العادة في حياته.

• **إذا قررت أن تبدأ فضع نفسك بين خيارات كلها تُفضي بك إلى بناء هذه العادة؛** إما أن تبدأ بقراءة بعض الروايات الموثوقة، أو

كتب القصص الصحيحة إذا كنت من عشاق هذا الفن، أو تختار كتاباً في فنك أو تخصصك أو مجالك الذي تحبه وتجد شغفاً في القراءة فيه، وكلا النوعين مشروط بسؤال مختص أو صاحب فن وتجربة ثرية حتى تضمن أن تبدأ بداية صحيحة ومرتبة، وتكون دافعة لإتمام مشوارك وليست عائقاً عن التمام..

ومن تمام ذلك وأصل نجاحه أن يكون الكتاب الأول أو المجموعة الأولى سهلة العبارة، صغيرة الحجم، حتى تجد معها وبها وفيها طعم الإنجاز ولذته ونهاية الفكرة وتمام المشروع..

وإياك ثم إياك أن تتقحَّم الكتب الصعبة وتبدأ بالمطوَّلات ولا تعتني بحسن الاختيار؛ فإنك توشك بنفسك إلى الضياع وفوات الفرص في أعظم مقدراتك على الإطلاق..

قال محمود الطناحي رحمه الله: **الكتب كالبشر؛ منها: ما تعرفه ثم** لا تطيقه فتلفظه، ومنها: ما تأنس به ساعة من نهار وقد تؤمل فيه خيراً فتستبقيه في ركن من نفسك علّك تعود إليه يوماً، ومنها: ما يخطف بصرك ويعلق قلبك؛ فإذا أنت منجذب إليه، ومعقود به لا تكاد تدير وجهك عنه. اهـ.

إذا بدأت بكتب القصص القصيرة وبعض الروايات الممتعة، وتحسَّنت شهيتك للقراءة، وأصبحت تجوع فكريّاً وثقافيّاً وتحتاج

إلى كتاب يسد هذه الفاقة الموجودة في نفسك؛ فأهنئك على بلوغ أملك في بناء أعظم العادات تأثيراً في بناء مســتقبلك الكبير في قادم الأيام.



١٣ تَخَلَّص من الأوهام

• **من الأوهام التي تطارد من يريد أن يبني هذه العادة (القراءة) في شخصيته: (قرأت ولم أفهم، كل الذي قرأته لم يبق منه شيء، إلى متى أقرأ ولا أجد ثمرة لتلك القراءة، القراءة مجرد ركام معرفي لا ثمرة له)**.. وما زالت هذه الأوهام تتوسَّع في حياة كثيرين حتى صارت عائقاً أمام الاستمرار، **وتخلّص كثيرون من همومها من الأصل، وعادوا كما بدؤوا أول وهلة.**

• جاء طالب علم ذات مرة إلى شيخه يعرض الشكوى ذاتها، فقال له شيخه: خذ هذه التمرة كُلْها. فأكلها، ثم دفع إليه أخرى، وقال له: كلها. فأكلها، ثم نظر إليه وقال له: لعلك كبرت من أثرها؟.. فقال: لا. فقال له: ولكنها في النهاية ستؤثّر في نموك، وتجري في عروقك، وتأخذ حظها من جسدك؛ أليس كذلك؟ فقال: بلى. قال: **وكذلك القراءة ستأخذ حظها من فكرك ولو بعد حين.**

وهذا المعنى من أصدق ما يقال في القراءة، وقد جربتُهُ مراراً في حياتي، وكنت أقرأ وأمضي، ثم يمر بي زمن فأكتب؛ فإذا

بالمواقف والأحداث وحتى الكلمات ذاتها التي قرأتها وكنت على يقين أنها لن تبقى؛ جرت على حبر قلمي، وشـــاركت في صياغة أثره.

إذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فتأمَّل بعض الكُتّاب الذين مر بك بعـــض ما كتبـــوا ودوَّنوا، ســـتجد أن لهم أســـاليب مختلفة ومتباينة، وسبب ذلك راجع إلى ذات التمرة، فقد كوَّنت القراءات التي اشتغلوا بها زمناً من أعمارهم؛ كونت حبر أقلامهم، ورسمت معانيها على أفكارهم، وإذا بهم يسيرون في الفلك ذاته، حتى كأن الواحد منهم لا يكاد يجاوز ما كان يقرأ فكرة وأســـلوباً وبياناً في مرات كثيرة..

فالذي انشـــغل مثلاً بقـــراءة الأدب للطنطاوي مثـــلاً والعقاد والجاحظ والرافعي والزيات سيدهشك في نصه الجانب الأدبي، وســـيأخذ بمجامع قلبك ومشـــاعرك تلك النصوص التي يفرغها حبره على الورق، وستجد في أسطره حسّاً مرهفاً، وشاعرية عذبة، ولغة الجمال والحب والليل والسفر تكاد تأخذ حظها من همومه وأفكاره..

والذي انشغل بالقراءة في التاريخ مثلاً ستجد ذلك مؤثراً في حرفه إلى أبعد مدى..

ومن اشتغل بالقراءة الفكرية زمناً من عمره سيجدها مؤثرة في قلمه وطريقة تفكيره... وقُلْ مثلَ ذلك في كل فن ومجال.

• فابدأ بتكوين هذه العادة، ولا تنشــغل في بداية أمرك بما وصل إليك من معارف وعلوم ومفاهيــم وأفكار وتصوُّرات، ولا يشغلك ضياع ذلك الركام المعرفي الذي قرأته في لحظتك؛ فإنه آخذ في التشكّل، وسيبين على فكرك وقلمك ومشاعرك وحرفك في قادم الأيام.





قَلِّل مقروءَك في البدايات

• **كل مشـــروع وفكرة وقضية تبدأ مؤمنة بهذا المعنى؛ تبلغ غايتها في النهايـــة وإن طال طريقها**، ولا أعـــرف تجربة مغرية بالكمال كتجربة هذا المعنى، وغالب ـ إن لم يكن كل ـ الذين خالفوا هذه القاعدة عادوا متندمين على فوات حظوظها وضياع أمانيهم منها في النهاية، ويكفي أنها خرجت من مشـــكاة النبوة «**أدومه وإن قل**».

إن قراءة عشـــر صفحات في كل يوم مؤذنة في نهاية الشـــهر بإتمام كتاب كامل من ثلاث مئة صفحة، وهي متممة لصاحبها في نهاية العام باثني عشر كتاباً؛ وهو قدر ضخم يعجز في مرات كثيرة عنه قارئ نهم، فضلاً أن يكون غيره من القرّاء.

• **إن مشكلتنا التي تواجهنا في بناء العادات: أننا نبدأ مغمورين بفرح البدايات**، مشـــغوفين بالجديـــد، مبتهجيـــن بالتغيير الذي سيحدث في مســـتقبل أيامنا؛ **فنأخذ حملاً ثقيلاً**، وقدراً زائداً على صاحب البدايات، ثم نبقى فيه لأسابيع أو بضعة أشهر، ثم ما نلبث

أن نتخلى عنه ونلقي بتبعاته، ونعود لما كنا عليه في سابق العهد وأول الأمر.. **وفي مرات كثيرة يكرّس لدينا هذا الخطأُ ضعفَ الأمل، وانعدام الثقة، والعزلة الشعورية؛ فنتوقف عن المحاولة ونخسر كل شيء.**

• في بداية بناء عادة القراءة حدد خمس صفحات أو عشر على الأقل، أو التزم بوقت يتراوح ما بين العشر إلى العشرين دقيقة فحسب، ولا تزد عليها في أول خطواتك، والأيام كفيلة بخلق مشاعر الفرح والبهجة بهذا الالتزام وبما تراه من عوائد القراءة على واقعها حتى تستوثق منها وتجد شغفاً وإقبالاً عليها، ثم بعد ذلك لا حرج أن تجعل الحد الأدنى ما تمَّتْ الإشارة إليه، وتزيد بقدر مناسب ومعقول؛ على أن تراعي التدرج في ذلك قدر وسعك..

ولا تحملنّك اللذة التي تجدها في بداية الطريق خاصة على إثقال وقتك بكمٍّ كبير، فقد تضعف نفسك، ويخالجها شعور بالألم، وتبدأ تتنازل عمَّا كانت عليه، وما يزال يطاردها هذا الشعور حتى يقضي على النجاحات التي تمت أول وهلة، وتخسر مشروعك جملة وتفصيلاً.

• إن الصفحات العشر مؤذنة بنهاية مجلد كامل من ثلاث مئة صفحة، والصفحات الخمس هي كذلك مؤذنة بطي مئة وخمسين صفحة في كل شهر، وقراءة صفحات ثلاث يومية تشرف بك في

كل شهر على مئة صفحة، ولا تقولن في البدايات خاصة: هذا قليل ولا يمثّل شــيئاً؛ لأن طريقك يحتاج إلى جهــد كبير في التعبيد، حتى إذا ما أخذ حظه الكافــي من الجهد فلا مانــع أن تزيد في وقتك أو عدد صفحات كتابك في ذلك الحين، **واعلم أن التدرج سُنة كونية في كل شــيء، وفوات السنن من حياة صاحب الفكرة والمشروع فواتٌ لحظوظه في النهايات.**

ابدأ بخمــس صفحات، واســتمر عليها، وناضــل من أجل تمامها، ولا تزد عليها في البدايات شــيئاً، **وإياك والانقطاع مهما كانت ظروفك؛ فإنــه مؤذن بانقطاع مشــروعك**، وقاطع لغاياتك الكبرى في النهايات.

❁ ❁ ❁

١٥ كَوِّن مكتبةً في بيتك

• **في مرات كثيرة تكون الأجواء المحيطة بك هي التي تصنع فارقاً ضخماً في عاداتك وتصرفاتك**، فالأماكن المبعثرة وغير المتسقة والمتسخة تخلق شعثاً في نفسك وقلبك ومشاعرك، ويتكدّر خاطرك، فلا تنشرح نفسك لشيء من الإبداع في أجواء الفوضى..

وقُلْ مثل ذلك في الأجواء الخلّابة والمناظر المدهشة؛ فإنها كفيلة بدفع مشاعرك إلى أقصى حدود الإبداع والتأنق في كتابة أفكارك وبناء عاداتك.. ومن جمال هذا المعنى ولطيفه: أنني أكتبه في فصل الربيع، وفي الضحى، وعلى عتبات البيت، ومنظر الجو مدهش إلى أبعد مدى، وأرجو أن تجد هذا الكتاب كالربيع على قلبك، والورد في عينيك، والغيث على جسدك.

• **إن وجود مكتبة في المنزل واحد من المناظر الخلابة التي تدعوك لأن تمدَّ يدك وتملأ عينك**، ولن يزال بك هذا المشهد حتى

يقعد بك في جنبات تلك المكتبة لتأخذ فصولاً من الحياة، وتستقطع أوقاتاً لمشاعر الأشواق، **ولا أعتقد أن إنساناً جادّاً يريد أن يبني هذه العادة الممتعة في واقعه وليس في بيته ما يُغري ببنائها مهما كان حرصه على هذا المعنى الكبير..**

أرأيت ذلك الرياضي الذي يجهد في كتابة برنامجه الرياضي وينسقه ويرتبه، ولكنه لا يجد جهازاً واحداً في بيته يدفعه للتمرين مع ظروفه التي لا تمكنه من ممارسة تلك التمارين خارج البيت..

وذلك الذي يريد أن يتعلم مهارة الكتابة على الحاسب الآلي، وليس في بيته إلا أوراق وأقلام..

والثالث الذي يريد أن يضبط اللغة الإنجليزية وليس لديه أي شيء مما يتعلق ببناء هذه العادة..

والرابع الذي يريد أن يبني هذه العادة في نفوس أطفاله، ويأتي لكل فرد منهم بقصة ورواية وكتاب، ولكنه لم يُوجِد لهم مكاناً يعيدون هذه الكتب إليه بعد القراءة أو في أثنائها؛ فتظل كتبهم في زوايا البيت، وعلى الأسرّة، وفي الممرات؛ حتى يملوا هذه المناظر المقلقة، فتنزع نفوسهم إلى أثقال الكتاب في نفوسهم، ولا يجدون حادياً للنهضة، وكل هؤلاء ستموت أمانيهم وتذبل قناعاتهم يوماً بعد يوم، حتى يتلاشى في النهاية منهم كل شيء.

حتى كتابك الأول الذي انتهيت منه، ولخَّصْت بعض عباراته، ودوَّنْتَ عليه إشــارات نافعة، أين تضعه؟ وكيــف تصل إليه إذا احتجته إن لم يكن في بيتك مكتبــة تحفظ فيها قديمك، وتضع فيها الجديد؟!.

• حين يقال لك: كوِّن مكتبة في بيتك؛ فمعنى ذلك أن تفصّل لك دولاباً صغيراً تحرص على شكله الجمالي ومنظره الخلاب، وتضع فيه كتابك الأول، وكلما زرت مكتبة أو ذهبت إلى معرض كتاب ألفت بين هذه الكتب، حتى تتشــكَّل منها صورة جماعية ممتعة ومدهشة، ومعينة على بلوغ أمانيك في النهايات..

قال بكار: **عندما تصبح المكتبة في البيت ضرورية كالطاولة والسرير والكرســي والمطبخ؛ عندئذ يمكن القول بأننا أصبحنا قوماً متحضِّرين.** اهـ.

❁ ❁ ❁



حدِّدْ وقتاً ملائِماً للقراءة

• **إذا أردت أن تبني هذه العادة؛ فمن الضروري أن تستقطع لها وقتاً من يومك، على أن يكون هذا الوقت المستقطع لصالح هذه العادة واضحاً في اليوم ذاته**، بمعنى: هل هو في الصباح أو الظهر أو العصر أو بعد العشـــاء، أو حتى في ســـاعة محددة من اليوم، وتحرص غاية وسعك ألا تكون هذه المساحة من الوقت مزاحمة بأعمال أخرى، أو يكون من الوقت الذي يمكن أن يكون عرضة لكثرة الشواغل أو الظروف العارضة.

• **ثمة مواعيد في يومك لا يمكن في الأصل أن يعتدي عليها أحد، أو تمســـها الظروف، أو تتقلّص لحـــوادث خارجية**؛ كوقت ما بعد الفجر مثلاً، أو الضحى لغير الموظفين، أو ما بعد الظهر، أو بعد الحادية عشـــرة ليلاً؛ بخـــلاف الأوقات مـــن العصر إلى العاشرة مساء مثلاً؛ فإن هذه الأوقات غالباً ما تكون عرضة لظروف خارجية يمكن أن تذهب بأي برنامج أو التـــزام فيها، ما لم يكن صاحب ذلك الهدف والمشروع يدرك معنى الأولويات، ويرفض

حتى في مثل هــذه الأوقات التعــرض أو الاعتــداء على هدفه ومشروعه وقضيته؛ فهذا شأن آخر.

• **حدِّد وقتاً واضحاً في يومك، وقلنا: إنه يكفي من العشر إلى العشــرين دقيقة في الزمن المفضّل لديك، ثم درّب نفسك وهيِّئْها للالتزام به والمحافظة عليه والنضال مــن أجله**، حتى يتحوّل إلى عادة وجزء لا يتجزأ من حياتك اليومية، وسترى كيف تغشى البركة هذا الوقت، وتجري فيه مســاحات النهضة، ويثري فكرك وعقلك ومشاعرك حتى كأنك تصنع شيئاً ممتعاً ليومك كله بعد ذلك.

قال لي أحدهــم ذات مرة: في يومي ثلاث ســاعات جعلتها للقرآن وضبطه ومراجعته، وما زالت تجري علي بنعيمها وبركتها وأثرهــا إلى يومي هذا، وهــي ما بين الفجر إلــى الضحى، ومن المغرب إلى العشاء.

وقال آخر: كنت أحدد لرســالتي الماجســتير من ســاعة إلى ساعتين بعد صلاة الظهر من يومي كله، حتى بلغت بها التمام.

وقال ثالث: يصحبنــي عند النوم كتــاب عبد الفتاح أبو غدة «صفحات من صبر العلماء» أقرأ فيه كل ليلة قبل النوم ما لا يزيد على عشر صفحات.

وقال رابع: انتهيت من قراءة «ســير أعلام النبلاء» و«مســند الإمام أحمد» من خلال عشرين دقيقة كل ليلة قبيل النوم..

وكل هؤلاء قدّسوا هذه الأوقات، وصنعوا بها ومن خلالها كل شيء.

• حدد من العشر إلى العشرين دقيقة في يومك، واجعل كتابك في مكان واضح وقريب منك يذكرك بمهمتك ورسالتك وعادتك الناهضة، وإذا جاء وقت هذه العادة فقم إليه بإجلال، وعظِّمْه وقدِّسْه، وسترى ما تصنع هذه الفاتنة في واقعك مع الأيام.

❁ ❁ ❁



حدِّد قائمة بكتب البدايات

• **من فقه القارئ المبتدئ ووعيه خاصة في بداية تكوين هذه العادة: أن يقابل خبيراً في هذا الشأن، أو يتواصل معه..** وليس كل من يقرأ يصلح للاستشـــارة، وإنما ذلك الذي يتصدى لمثل هذه الموضوعات، ويُثري مســـاحتها من خلال كتبه أو مشاركاته في الساحة الثقافية والعلمية، **ثم يسأله عن مجموعة من الكتب التي تصلح لمثله..** وكل إنسان قد يصلح له ما لا يصلح لغيره بناء على ثقافته وقيمه وتوجهاته، على أن يكون الســؤال في تكوين مكتبة صغيـــرة **لا تتجاوز فـــي البداية خمســـة كتيبات صغيـــرة**، وتقرأ متدرجة..

وإنما قلتُ ذلك حتى لا يصيب من يريد أن يبني هذه العادة الشـــتات من البداية؛ فيأخذ من هنا كتاباً ومن هنا كتاباً، أو يأخذ كتابه الأول ثم ينتهي ولا يجد وصية تنفعه في كتابه الآخر، فيُخْلَق عدمُ تدرجٍ في مقروءاته الثقافية، ويختل الطريق..

وقد أشــرت إلى أن من معاييــر اختيار هذه الكتــب: صِغَر حجمها، وســهولة عبارتها، وفأل حرفها؛ حتى نستطيع أن نضع القارئ في شباك هذه الفاتنة من أقرب الطرق، ونقنعه بها من أول الخطوات.

• لن تعدم أن تجد ثلاثة أو خمسة كتب تنطبق عليها ما أشرت من تلــك المواصفات في بداية تكوين عادتــك القرائية، وحينئذ ضعهــا مرتبة فــي مكتبتــك الصغيــرة، أو على طاولتــك التي لا يزاحمها غيرها، ولتكن في متناول يــدك، وأول ما تقع عليها عينك، حتى تكون حاضرة في ذهنك، فلا تنشغل عنها؛ خاصة في بدايات تكوين تلك العادة، وهذه الكتب تقرؤها خمس أو عشــر صفحات يومية لا تزيد عليها في بداية مشوارك، أو زمناً من العشر إلى العشرين دقيقة فحسب.

غالب الذين أخفقــوا في تمتين هذه العادة فــي واقعهم وقع الخلل عليهم من الشتات في قرار البدايات، والعشوائية في اختيار الكتب، والقراءات المبعثرة، وتفاوت حجــم الكتب أو أفكارها الثقافيــة، أو طريقة ترتيبهــا لمفاهيمها وتصوراتها، فينشــأ لدى القارئ شــتات فكري ومفاهيمي وتصوري، فتخلــق حاجزاً بينه وبين الاستمرار، وإلَّا مَنْ أحســن الاختيار بلغ مقصوده، وارتبط بهذه الفاتنة، ولن يتخلَّف عنها مع الأيام.

***

١٨ شارِكْ ما قرأتَه مع الآخرين

• إذا بدأتَ تقرأ وردك المحدَّد مع الصعوبة التي ستواجهك، والقلق الذي يصحبك، وعدم الاستمتاع في بداية مشوارك؛ إلَّا أنك ستجد مواضع فاتنة في كتابك إذا أحسنت الاختيار، ستجد مواقف آسرة وكلمات جميلة وإشارات تأخذ بلبك وتستهويك، ومواضع فاتنة لمشاعرك.. ومن فقهك وكمال وعيك إذا عثرت على هذه المعاني: **أن تشارك بها من حولك من الأصدقاء أو الأصحاب، أو تصنع منها مادة أنيقة في وسائلِ التواصل الاجتماعي**، وهذا الحد كافٍ في خلق المتعة لديك، ودفعك لمواصلة المشوار وتجاوز الصعاب التي تواجهك في البدايات.

• أمَّا لفت نظرك يوماً أحدُ زملائك أو أصدقائك وهو يتحدث عن أشياء جميلة، ويذكر مواقف فاتنة، ويسرد قصصاً تاريخية، ويجري عليك وعلى صحبك جزءاً من مشاهد الحياة؟.. كم مرة استوقفك هذا المشهد وأدهشك، وتساءلت في نفسك وهو يحكي لك تلك القصص: من أين جاء بها؟ وكيف حصل عليها؟..

إن المعرفة تصنع الدهشة في نفسك وفيمن حولك، وكلما زادت قراءتك واتسعت معارفك توسَّعت نفسك، وخلقت في مشاعرك مشاهد مبهجة في الوقت ذاته، وتحولت القراءة إلى عامل نفسي ممتع لشخصك، وكذلك تستطيع أن تصنع بها ومن خلالها مشاهد الدهشة فيمن حولك، وسيظل كل من معك يرقب قدومك، ويشتاق لحديثك؛ خاصة إذا عرفتَ كيف تَسْتَلُّ أعجبَ ذلك المقروء، وتستخلص أمتعه، وتختار وقتاً مناسباً لبثه وتعميم فائدته.

• **بعض المواقف التي تمر بك في وردك القرائي تحتاج أن تصنع لها مشهد عرس، فتحتفي بها وتدوِّنها، وتحافظ عليها من الضياع**، وتعيد قراءتها مرة أو أكثر؛ حتى تكون جزءاً من ثقافتك، وملكاً من أملاكك الفكرية، وتكون قادراً على صياغتها وإعادة بثها في لقاءاتك مع أقرانك وصحبك وزملائك.

وبعض المواقف التي تمر بك في كتابك تحتاج أن تهتبل فرصة وجودها، وتعلّق منها في وسائل التواصل ما يثري مساحة تأثيرك، ويصنع ربيعاً مورقاً في المتابعين لك..

وكلا المعنيين كفيل بإذن الله تعالى مع الأيام أن يمتّن معارفك، ويوسّع مداركك، ويشحذ همتك، ويغريك بمواصلة الطريق، ويجعلك فرداً ممتعاً ومدهشاً في كل حين.

***



اخْتَرْ صاحباً قارئاً

• **في بداية مشوارك في بناء هذه العادة اختر صاحبك بعناية، وإذا وجدت صاحبـاً قارئاً فاشـدد عليه يديك، واسـتوثق منه، ولازمه،** فستكتب صحبته حظها في واقعك، وستجري في حياتك أيام الربيع كما تشاء.

الصاحب سـاحب، وكم من صاحب راية أخـذ على عاتقه صحبـاً كثيرين، وما زال بهـم حتى أوردهم النعيـم!.. وكم من صاحبٍ قعد بصحبه في بداية الطريق، وألقى بهم في الهوامش، وما يزال يصنع فيهم ما لا تصنعه أسـوأ أدوات التخلّف في حياة إنسان!..

• **طُبع الإنسـان على وحشـة التفرد، وطلب الرفيق، وصحبة الآخرين:**

- ولو لم يكن في ذلك إلا حال **رسـول الله ﷺ**؛ على كماله احتاج مـن يعينه على تحمـل وعثاء الطريق، ويسـليه في غمرة

أحداث الدعوة والهجرة، ولكنه اختار ناهضاً تجري الحياة بكافة صورها وأشكالها في واقعه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

- وسأل اللهَ تعالى موسى عليه السلام أن يعينه بأخيه في أداء مهمته ورسالته: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٤].. وما زال معه حاملاً راية الإصلاح حتى بلغا النهاية.

- وإذا قرأتَ القرآن فستجد حتى أصحاب الكفر والضلال كان لهم من هذا المعنى، واتخذوا خلّاناً يسقونهم الغي حتى بلغوا جهنم في الخواتيم: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]..

ومن فقهك: أن تأخذ من هذا المعنى ما يعينك على بلوغ أملك، وتحقيق رغبتك وبلوغ مقصودك، وإياك وصحبة البطّالين والمتخلفين عن معين الحياة الوارف بالنعيم!..

• تحتاج أن تصحب قارئاً تقول له: أنهيت اليوم وردي. ويقول لك: أنهيت كتابي الأول.. وإذا غفلت عن هدفك وفكرتك ومشروعك ذكّرك به، وأثار مساحته في واقعك من جديد.

لو لم يكن من الصاحب إلا أنه يحمل في يده كتاباً في كل مرة، وإذا جلس في مجلس أدار همومه في تقليب صفحات مورد

ثقافي، وإذا جاءت معارض الكتب أغــراك بزيارتها، ورتب لك السفر إليها، وبعث همومك للقائها، وأثار في نفسك عارم الرغبات لحضورها؛ لكانت مشاهد تستحق الفرح والبهجة..

وإياك من صحبة البطالين الفارغيــن؛ الذين يعدون الكتاب واحداً من خصوم متعهم، وعدوَّ سعادتهم، فِرَّ من هؤلاء فرارك من المجــذوم! وكم من صريع لهم فــي الأيام! وكم ألقــوا ميتاً في عارضة الطريق!..

وإذا أحسنت الاختيار فستصل بإذن الله تعالى ولو بعد حين.







• **في مرات كثيـرة قد لا تجد صاحباً يعينــك، ورفيقاً يأخذ بيديك، وقريباً يدفعك لبناء فكرتــك**؛ فلا تتوقف لأنك لم تجد معيناً يســليك طول الطريق؛ لأنك حين تمعن فــي هذا المعنى ستجد مســاحات فيها مئات الأصدقاء الذين يعينونك، ويأخذون بيديك، ويدفعون بك إلى آمالك التي تريد..

وهؤلاء الأصدقاء موجودون وبالطريقة التــي تريد والكيفية التي تشاء، ولو أنك أدرت شاشة جوَّالك فقط على هؤلاء لوجدت منهم من يكتــب إليك، ومنهم من يحدِّثك مشــافهة، ومنهم من يتفاعل معك مباشــرة، ومنهم يصحبك في طريقــك حتى تبلغ هدفك وتصل إلى أمانيك.

يمكنك من خــلال الشــبكة العنكبوتية أن تســتمع لمئات الصوتيات التي تتحدث عن التحفيز، وكيف تشــعل في نفسك الشغف بفكرة أو مشروع، أو كيف تبني عادة وتصنع لها واقعاً في

يومك وليلتك، وستجد بأن هذه الأطروحات مختلفة ومتباينة، ومن ثقافات متعددة، وبأساليب مختلفة، وكلها في النهاية تدفع بك وتحفزك على الاستمرار، وتغريك ببناء هذه العادة في واقعك.

ويمكنك أن ترى عشرات المقالات التي تثري هذا الجانب، وتغريك بالتغيير، وتدلك على الطريق، وتمسك بيدك حتى تصل بك إلى أحلامك وأمانيك..

وقد تجد أشكالاً من المقابلات والتجارب والإبداعات والإضاءات التي لا تتوقعها، وهي أفضل بديل في البيئات التي لا يجد فيها الإنسان صاحباً ناهضاً يعينه على بلوغ مراده، ويبلغ معه إلى أحلامه التي يريد.

• **يجب أن نعترف أننا بشر لنا ظروفنا، وتواجهنا عقبات في الطريق، وتلقانا صعاب**، وبعضها يُغِيْر على نفسك وقلبك ومشاعرك، فيبعثر اتساقها، ويملؤها قلقاً، وتضطر في مرات كثيرة أن تتوقف عن مشروعك، أو تتأخر عن فكرتك، أو تثقل خطاك في الطريق إلى تلك المهام والخطط والأهداف التي رسمتها لنفسك..

ومن فقه الإنسان وكمال وعيه: ألا يترك لهذه العقبات والمنغصات فرصة العبث بمشاعره وتأخير مشاريعه، وإنما عليه أن

يدفعها بمثل هـذه الأطروحات التحفيزيـة، والتجارب المبدعة، والأفكار الخلّابة التي تواجه تلـك الأزمات وتدفع بها جانباً عن الطريق.

• فـي أول حادث فـي الوحـي وأول لقـاء لجبريل عليه السلام بنبينا ﷺ؛ عاد النبي ﷺ خائفاً قلقاً يشـعر بالموت، واحتاج أن يسـمع كلمـة تسـلّي مشـاعره، وتقف إلـى جـواره، فقالت خديجة رضي الله تعالى عنها: «**كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتكسـب المعدوم، وتعين على نوائب الحـق**».. وأخذت بيده لتسـمعه ما يعينـه على تحمل حوادث الزمان وفجائعه المقبلة من ابن عمها ورقة بن نوفل..

ونحن كذلك نحتاج أعواناً في الطريـق يأخذون بأيدينا، ويخففون عنا كلوم الزمان، ويهيضون علينا مشاعر الأمل والفأل؛ فإن لم نجد من يعين في الطريق فلا أقـل من أن نأخذ من هذه التقنية ما يدفع بنا لتحقيق أحلامنا وأمنياتنا في النهايات.

❁ ❁ ❁



شارِكْ في المجموعات والمسابقات القرائية

• **من نعم الله تعالى التي بدأت تأخذ حظها من الواقع: انتشار مجموعات قرائية عبر الشبكة العنكبوتية**، وينضمُّ لها من المسلمين من أقطار الدنيا من يشاركون فيها ويفعِّلونها ويسعون في نجاحها، وتخرج تجارب مبدعة ونتائج خلّابة ومظاهر تستحق الفرح، للدرجة التي قُرئت كتب في مثل هذه المجموعات ما لا يتيسر للإنسان أن يأتي على بعضها بمفرده.. **وأصل هذه الفكرة وقاعدتها: حاجة الإنسان إلى غيره، وضرورته إلى من يعينه على برامجه ومشاريعه وأهدافه.**

• **واحدة من وسائل تفعيل دافعية القراءة، وبناء هذه العادة في واقعك: أن تشترك في هذه المجموعات، وتلتزم بجدولها، وتجري في فلكها**؛ حتى تتحوّل القراءة إلى شهوة وشغف يخامر قلبك ومشاعرك، وتجد فيها روحك وألقك.

ومثل ذلك: المسابقات التي تقام في قراءة بعض الكتب، وأعرف مجموعات شاركوا لأول وهلة، وساورهم قلق البدايات،

ثم ما زال بهم الحال حتى رزقوا شـغف القـراءة، وتحوَّلوا من مجرد مسـابقة وفائز وخاسر، إلى شـغف يجري في مشاعرهم، وأصبـح الواحد منهم قارئـاً نهمـاً، وكاتباً مبدعـاً، ومنتجاً في مسـاحته؛ لولا هذه المجموعات وتلك المسابقات بعد فضل الله تعالى لما كان له من ذلك شيء.

• **ومن فضـل الله تعالى: أن هذه المجموعـات متنوعة؛ منها: المبتدئ، والمتوسـط، والمتقدِّم..** ومن فقهك وكمال وعيك: أن تعرف أين تشارك، وتختار من تلك المجموعات تلك التي ما زالت في بداية الطريق، حتى لا تأكل لقمة أكبر من حاجتك فتشرق بها، أو تأخذ دواء لا يصلح لمثلك فتقع في المرض من جديد.

• **والخيارات بحمـد الله تعالى متاحة، ويمكن للإنسـان أن يشاور قبل الانتساب إلى تلك المجموعات،** وألّا يبدأ حتى يتخذ كافة احتياطـات القرارات الصائبة، ويبدأ علـى بيّنة ومعرفة تامة بالطريق وما يؤول إليه في النهاية، خاصـة أن هذه المجموعات مرتبة ومنظمة، ويشـرف عليها قُرّاء وأصحـاب معرفة ومنهجية ووضوح، فلا يسـاورك الخوف أنك لسـت في الطريق، بل هي أقرب ما تكون للمنهجيـة من بعض الأطروحات التي لا شـأن لأصحابها بذلك من قريب أو بعيد.

• **وهي كذلك تجربة متاحة لك ولغيرك،** وإذا بدأت ووجدت أنها تخدم هدفك، وتؤمن بالبدايات التي أشرنا إليها، ولغة الكتاب

واضحة وسهلة ويسيرة وممكنة، وتفقه من خلال ما تقرأ؛ فذلك توفيق الله تعالى لك، وإن وجدت غير ذلك؛ فمن حقك أن تتركها وتعتذر من إخوانك بعــذر لطيف، وتبحث عما هو أنســب لك وأقرب إليــك، على ألَّا يســيطر عليك مفهــوم (ما عرفت، ولم أضبط...) فــي بدايات محاولاتــك؛ حتى تأخذ قــدراً كافياً من التجربة والتطبيق.





٢٢ حضور مَعارض الكتب

• ثمة مشكلات كثيرة في الواقع، وملهيات ضخمة، وهوامش تستقطع وقت الإنسان في غير ما خُلق له، وتغريه بمتعها الآنية الظاهرية.. ومن توفيق الله تعالى للإنسان ووعيه: ألا يقع في بعض هذه الهوامش، وأن يحاول جادّاً في الارتفاع عن حضيضها.

وإذا أردت أن تتفوّق على ما بين عينيك فاخلق مشاهد أخرى للبهجة غير ما تراه في واقعك ومساحتك؛ فالذهاب مثلاً لمعارض الكتب ومتابعتها واحد من المشاهد الممتعة والمدهشة في الوقت ذاته، ويمكنك أن تلقى ما تقر به عينك، وتشبع به نفسك، وتزدان به مشاعرك، **ولو لم يكن من ذلك كله إلا مشاهد القُرّاء في تلك المواطن لكان منظراً كافياً عن كثير من الدروس في أهمية هذه الفاتنة في حياتك في مستقبل الأيام.**

• **حين تحضر معارض الكتب سيزداد شغفك بالكتاب وأنت**

ترى سوقاً مدهشاً وإقبالاً كبيراً، في حين كنت تظن بأنه ليس معك أحد في الطريق وأنك تسلكه لوحدك دون معين.

ستغريك تلك الجماهير التي تراها بين جنبات ذلك المعرض، وستعطيك أدلة كافية وبراهين واضحة أن العالم مملوء بالناهضين، والمقبلين على حُبِّ الكتاب، ودفع أثمن الأموال فيه ومن أجله، وستعلم حينها أن بيئتك الصغيرة وظروف حيك وواقع مدينتك حرمتك من مشاهد تدعو للفرح، وأبقتْكَ معزولاً عن الحياة زمناً طويلاً من عمرك.

• ذات مرة كنت في معرض الرياض الدولي للكتاب، وشدَّني منظر ذلك المعوق الذي لا يتحرك من جسده إلَّا الرأس، ويُدفع من خلال دراجة أشبه ما تكون بالسرير الذي ينام عليه الإنسان، وذلك المُلقى على ذلك السرير أشبه ما يكون بالجثة التي لا حراك فيها، وإذا به أحد زوار المعرض والراغبين في إمتاع حياته بزاد العلم والثقافة والفكر، للدرجة التي كانوا يأتون بالكتاب إليه، فيلزقه على وجهه لضعف رؤيته ثم يقرر هل يشتريه أو لا حاجة له به.

ولو أنك رأيت مثل ما رأيت أنا لخرجت بقناعة أن الحياة التي يقضيها الإنسان في كتاب أثمن ألف مرة من حياة يقضيها في هوامش لا علاقة لها بالبناء..

احضر تلك المعارض لترى تلك الأرواح الناهضة، ولتشاهد

تلك الجموع العازمة على صناعة واقعها، وتلك النفوس التي لا تقبل بغير العلم بديلاً.. وبعدما تشبع روحك يمكنك أن تقرأ وتناقش وتقابل أصحاب التجارب، وتشتري من الكتب ما يغيثك بالربيع ويلهمك الحياة.

***



حاجَتُك للتضحيات

• بعد أن تتقرر قرارك الكبير بأن تجعل هذه العادة جزءاً من شخصيتك، وعادة من عاداتك اليومية، وفصلاً ممتعاً في حياتك؛ يجب أن يصحبك واحد من أهم المعتقدات في نجاحك؛ وهو أن **الأعمال الضخمة والعادات الإيجابية والسلوكات التي يُراد لها أن تستقر في حياتك؛ أحوج ما تكون إلى تضحيات ضخمة في سبيل تحقيقها والوصول إليها، وتحويلها إلى جزء من حياتك اليومية.**

• عليك أن تبدأ وفي ذهنك قدر كبير من التضحيات التي تحتاجها على الأقل في بداية الطريق، ولا تقولن: إن المسألة بسيطة، وقليل من الجهد كافٍ في ترسيخها وتجذيرها في حياتك، بل الواجب عليك أن تتخلّص من هذا الوهم، وأنت أعلم أن الجديد في مرات كثيرة يحتاج إلى همة تعينه على الاستمرار حتى يتحول إلى شيء طبيعي، ولا أريد بحرفي هذا أن أضع بينك وبين هذه الفاتنة عقبات وعراقيل تحول بينك وبين جمالها المدهش، كلا، ولكن أريد أن أقول لك: **إن الأشياء الممتعة، والعادات ذات**

العائد الكبير على مستقبلك؛ لا تضع نفسها في أحضان الطالبين لها إلَّا بعد جهد ضخم يستحق شرف ذلك الجمال.

كل الذين أخفقوا في إلتحلي بجزء من العادات الجديدة التي أرادوا اعتناقها ذات يوم؛ كانت مشكلتهم الكبرى أنهم بدؤوها غير مدركين لأهميتها، وغير مستوعبين لأثقالها، فبدؤوا فيها، وحين شـعروا بأول أثقالها تخلوا عنها وعادوا إلـى ما كانوا عليه أول وهلة، وتخلصوا من تبعات المجد، وظنوا أنهم عادوا للراحة، ولم يدروا أنه فاتهم نعيم لا يمكن تصوره، ولكنها العاجلة.

• **يجب أن تعي أن نفس الإنسان جبلت على الكسل والدعة والراحة، والإقلال من تكاليف الطريق قدر وسـعها، وهذا الطبع ما لم يغالَب بجد وجهد وفأل وطاقة قابلة للتكليف الجديد، وإلَّا انهزمت النفس عن تكاليفه**، خاصة في البدايات التي يراد لها قبول عادة لا عهد لها بها، فتشعر بأتعاب البدايات وأثقال الطريق..

فإذا ما أدركت أن الإنسـان جُبل على العجلة، وأنه شـغوف بالنتائج السريعة ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَـٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]؛ أدركت أنك بحاجة إلى هذا الفقه الذي تعالج به نفسـك، وتهيئها لهذه المعاني، وتشحذها لبداية الطريق، وتسليها بأن أيامك القادمة أمتع وأجمل وأسعد ما ينتظرك في الدارين.

❁ ❁ ❁



إصلاح ما بينك وبين الله تعالى

• **أعظم أسـرار النجاح وأكثرهـا صدقاً فـي النتائج: علاقة الإنسـان الإيجابية بربه تبارك وتعالى**، ومن علـم هذه القاعدة، وأمسك بخطام هذه الحقيقة، واستقام في الطريق إليها جادّاً؛ بلغ هدفه، وتحققت له أمنيته، وصارت آماله كلها واقعاً ولو بعد حين، وهذه الوصية أعظم وصية في تاريخ الإنسان على الإطلاق، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وإذا كانت النعم الواصلة للإنسان ـ سواء في روحه أو فكره أو مشاعره وجسده ـ إنما هي من الله تعالى؛ فما بالك ببناء عادة من العادات: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]..

وإذا سبرت سنن الوحي أدركت أن مَنْ أَحْسَنَ الطريقَ إلى الله تعالى تذلَّلت له عقبات طريقه، وتعبد مسـاره، وبلغ مقصوده من أقرب الطرق وأيسر المسـالك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وهذا الــرزق أعم من رزق المال، بل هــو في كل رزق يجد الإنسان لذته وفرحه وبشائره في واقعه.

• **نحن مؤمنــون بأن الســنن الكونية تقرر أن من ســار على الطريق وصل، ومن عرك المشــاق ذاق لذة النهايات، ومن تطاير غبار قدمه في الأرض استقرت قدمه على الربيع يوماً ما،** ومؤمنون كذلك أن الطاعة تقرّب البعيد، وتيسّر العسير، وتعين صاحبها على كل شيء، وقد قال ابن القيم: إن شيخه ابن تيمية كان ما يكتبه في يوم لا يستطيعه غيره في أسبوع، وما يكتبه في أسبوع لا يستطيعه غيره في شــهر، وهذا في عــدد الأوراق، بخــلاف بركة الحرف ومعنى القبول وجريان البركة في كل شيء.

• كم من ألمعي مؤهّل بقــدرات وإمكانات ومعارف، ولكنه قاعد في بداية الطريق، ومشغول بالهوامش، لم ينفع نفسه فضلاً أن ينفع غيره في شيء، وآخر عادي جدّاً ولكنه **رزق حظّاً من هذه الطاعة، فبسط الله تعالى عليه من توفيقه، فجرى أثر وبركة كلمته في آفاق الأرض ولم يبرح سريره بعد.**

• شكت فاطمةُ رضي الله تعالى عنها بنتُ رسول الله ﷺ أثرَ الطحن في يدها، وأرادت خادمــاً، فقال لهــا ﷺ ولزوجها علــي: «**إذا أويتما إلى فراشكما؛ فسبّحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، وكبّراه أربعاً وثلاثين؛ فذلك خير لكما من خادم**».

وقد يسأل ســائل: ما علاقة هذا بهذا؟! ولم يدرك أن الطاعة تصنع في جسد الإنسان وفي مشاعره فوق ما يتصوره.

وفي الحديث: «**يعقد الشيطان على قافية رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَــدٍ يضرب علــى كلِّ عقدةٍ عليك ليــل طويل؛ فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة؛ فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس** (نشيطاً وقويّاً في جسده، ومسروراً ومطمئنّاً في قلبه ومشــاعره)، **وإلّا أصبح خبيث النفس كسلان**».

حين تكون على صلة بربك سبحانه وتعالى ييسِّــر لك أمرك، ويشــرح تعالى صــدرك، ويزيح عنــك عقبات الطريــق، ويصنع لك كل شــيء.. وهذا التردد الذي يعانيه بعضهم، وضعف الرغبة، وقلة الدافعية، والكسل؛ إنما أسبابه ضعف الصلة ما بين الإنسان وربه تعالى، فمن الله تعالى العون والحول والتوفيق.

❁ ❁ ❁



٢٥ الدعاء

• لا تَتَّكِل على قوتك وحكمتك وإدارة شؤونك الخاصة والعامة بجهدك الخاص، بل سَلِ الله تعالى، وألحَّ عليه أن يهبك من توفيقه وعونه وسداده ما يبلغك الطريق، ويعجّل لك بالثمار.

في مرات كثيرة ننسى هذا المعنى، ونشغل بما ندفع به مشاريعنا وبناء عاداتنا من جهود، ويفوتنا بفوات هذا المعنى شيء كبير، وكم عَجَّل الدعاء من فائت وكم قرَّبَ من بعيد!..

وفي القرآن وعود كبيرة جدّاً لمن اشتغل بهذا المعنى، وأقبل عليه إقبال الراغبين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي معرض ذكر حال الأنبياء، قال تعالى عن أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].. فكان الجواب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وحين استغاث ذو النون: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].. تنزّل الجواب مباشرة: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وحين لجأ زكريا إلى ربه تعالى في سؤال الولد: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]. جاء الجواب بأفراح الدارين: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ،

• **إذا بدأت في مشروعك أو قضيتك أو تشكيل عادة من عاداتك؛ فابذل كل سبب من الأسباب الحسية بلغك بأنه طريق إلى النجاح، ومع ذلك علّق قلبك ومشاعرك بربك، وتوسل إليه بسؤاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى**، وألحَّ عليه، وترقّب ساعة الجمعة وليالي السحر ولحظات السجود، وكرر: (يا رب، يا رب، يارب)؛ **فإنك بإذن الله تعالى بالغ مرادك، وواصل إلى أحلامك** أقرب ما يكون.

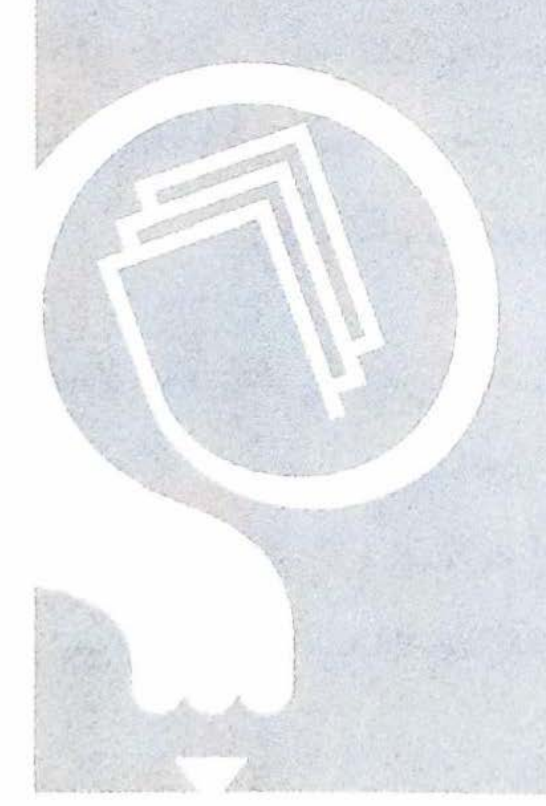
• **وعوائد الدعاء على أهلها فوق تصورك، وأكبر مما تتخيّل، وكم من أحلام أقبل بها الدعاء وقد كانت في عداد المستحيلات!.. وحين تدعو كن واثقاً أن الذي تدعوه أقرب ما يكون إليك، وأقدر على تحقيق أحلامك، وأعظم من يجيب سؤالك**، والله المسؤول أن يتولى أمرك وشأنك، ويبلغك أحلامك في الدارين.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

كيف تقرأ كتاباً؟

- طقوس القراءة
- فوارق الكتب
- إتمام الكتاب
- تلخيص الكتب واختصارها
- التركيز القرائي
- القراءة الواعية









طقوس القراءة

• **إذا أخذت كتاباً لتقرأ؛ فيجب أن تعلم أنه ليس هناك طقوس معينة لا بد للقارئ أن يعتنقها حتى ينجح في مشـــروعه القرائي، خذ كتابك واقرأ كيفما شئت؛** قائماً وقاعداً، وعلى جنب، وأنت تمشي، وفي مكان نزهتك، وفي بيتك، وفي أي مكان تكون فيه؛ المهم لا يفارقك الكتاب في غالب أحوالك حتى يألفك وتألفه، ويحبك وتحبه، ويصادقك وتصادقه، حينها يمكن أن تكون قارئاً ماهراً، وناقداً فذّاً في مجالك وتخصصك وشغفك.

وإذا وجدت من يقول لك: ثمـــة طقوس في القراءة والتعامل مع الكتاب أثناء قراءته؛ فاعلم أنه يتحدث عن نفســـه لا يتحدث عن القراءة، يعرض لـــك مزاجه وأحوالـــه ولا يتحدث عن واقع تعامل الإنسان مع الكتاب الذي يأخذ منه الفكرة التي يحيا بها في العالمين..

غير أنه لا يَفُتْك **أن ثمة كتباً لا تصلح لها الأماكن العامة؛** وهي

الكتب التي تحتاج إلى تأمل وتصوّر وفهم؛ ككتب الفقه كمثال؛ فلا يصلح أن تقرأها في أي مكان؛ إلّا إذا كانت قراءة جردية ليس المقصود منها الفقه أو الفهم، فلا حرج حينها أن تُجريها بما تُجري فيه فلكَ بقية المقروءات.

• وفي سير أسلافك من كان يُقرأ عليه وهو في الحمام؛ كجد ابن تيمية **أبي البركات** رحمه الله تعالى؛ كان يدخل الحمام ويقول لمن معه: إذا دخلت الحمام اقرأ.. فيقرأ ويرفع صوته بالقراءة حتى يسمعه.

وقال السخاوي في ترجمة محمد بن يعقوب **الفيروزآبادي** (ت ٨١٧هـ): وكان إذا سافر أخذ معه أحمالاً من كتبه، وإذا بلغ محلّاً نزل وقرأ منها ما شاء الله ثم يرتحل.

وذكر الذهبي عن **الدغولي**: أنه قال: أربعة مجلدات لا تفارقني سفراً وحضراً: كتاب المزني، وكتاب العَيْن، والتاريخ للبخاري، وكليلة ودمنة.

ولما وصل كتاب «الشرح الكبير» لابن دقيق العيد **للرافعي** وقد اشتراه بألف درهم؛ اشتغل بمطالعته، وصار يقتصر على الفرائض من الصلوات دون النوافل!..

وقد رأينا جزءاً من هذا الواقع في زماننا المعاصر؛ فكان أهل العلم **كابن باز** وغيره يُقرأ عليهم في البيت والسيارة والطريق والمجالس العامة، ولا يكاد الواحد منهم ينفك عن هذه الممتعة،

ســواء كان وحده أو في جماعة، ضيفاً أو مضيفــاً، حتى لقوا الله تعالى، وما زال بعضهم حيّاً وعلى النسق ذاته في كل أحواله.

فلا تفتــرض أن القراءة تحتــاج إلى مجلس خــاص، وركن مرتَّب، وكرســي ثابت، ونوافذ مطلة على البحــر.. كل ذلك من التنطع الذي لا يكون أصحابه إلَّا متذوِّقون فحسب.

• **القراءة الســرية أعْوَدُ على صاحبها من القراءة الجهرية في مرات كثيرة**، وحين تتحــوّل إلى عادة يمكــن أن يعمم صاحبها الاستفادة من وقته في كل مكان؛ لأن من عيوب القراءة الجهرية بالإضافة إلى مشــاكل الصوت أنهــا قد تتحوّل إلــى عادة، ولا يستطيع أن يقرأ أو يســتفيد إلَّا في جو خالٍ من الناس، وفي هذا ذهاب لأعظــم مقدراته: الوقــت.. ولكن أنت فــي النهاية صانع القرار.

• **القراءة مــن بداية الكتاب أولــى وأهم وأصــح من قراءة المتذوِّقين من وسطه أو نهايته أو بعض صفحاته**؛ فإن هذه ضارة مع الزمن.. تدرَّبْ على القراءة من بداية الكتاب، وألزم نفســك بذلك حتى تتعود مع الزمن وتكــون طبعاً لك، وتجري في فلك عاداتك مع الأيام؛ إلَّا ما كان من ذلك لضرورة أو لمعنى مقصود.

***



فوارق الكتب

• **من الحقائــق المهمة في القــراءة: أن الكتــب تختلف في تخصصاتها ومجالاتها، وأفكارها وأهدافها، وحاجة القارئ إليها، وأهميتها في شأنه وتخصصه ومجاله، ونحو ذلك.. وهذا الاختلاف مؤذن بالاختلاف في التعامل معها أثناء القراءة..**

فثمة كتب يمكنك أن تجردها ســريعاً ولا تعود إلى ما فاتك منها، ومنها ما يحتاج أن تُقرأ مرة ومرتين وألفاً، ومنها ما تحتاج في بعض فصوله أن تتأملها وفي فصول أخــرى ما لا تحتاج أن تقرأه من أصله.. وعلى هذا فقس.

فرق كبير بيــن كتاب في الفقه مثــلاً يراد لمســائله أن تتصوّر وتتضح ويعرف دليلها ووجــه الدلالة منه، وكتاب فــي التاريخ أو الأدب أو الفكر، الأول يحتاج زمناً في معافسة مسائله، والبقية يمكن أن يأتي عليها صاحبها في بضعة أيام ويستفيد منها بالقدر المناسب.

• **كان من عادة العلماء سرد كتب الحديث وبعض المطوّلات التي يراد منها استظهار النص في مرات كثيرة..**

فقد قرأ **الخطيب البغدادي** على بعض شيوخه «صحيح البخاري» في ثلاثة مجالس؛ اثنان منهما في ليلتين كان يبتدئ من ضحوة النهار إلى المغرب، وفي المرة الثالثة من ضحوة النهار إلى المغرب ومن المغرب إلى وقت طلوع الفجر..

وقرأ الحافظ **ابن حجر** «صحيح البخاري» في عشرة مجالس..

وقرأ **طلحة بن مظفّر** العلثي «صحيح مسلم» في ثلاث مجالس.

وكان **العز بن عبد السلام** يخرج إلى المسجد يوم الأربعاء ومعه «نهاية إمام الحرمين» فيمكث في المسجد من يوم الأربعاء إلى قبيل صلاة الجمعة، ويأتي على الكتاب كله..

وذكر **الذهبي** عن نفسه أنه قرأ «سيرة ابن هشام» على شيخه في ستة أيام..

وكان **البلقيني** يقول: ربما طالعت المجلد من كتب الفقه كاملاً في اليوم الواحد.

• **وثمة كتب تحتاج إلى تكرار قراءتها دون ملل**؛ كأن يكون كتاب تخصص أو مجال يمثل شغفاً لصاحبه، ويحتاج إلى تكرار وإعادة نظر في كل مرة؛ كمن يكون تخصصه في الفقه فيحدد له كتاباً ويداوم على النظر فيه كل زمانه.

وبعضهم قرأ «صحيح البخاري» أربعين مرة، وآخر قرأ «الصحيح» ذاته مئة مرة، **وابن التّبان** قرأ «المدونة» ألف مرة..

وقرأ **أبو بكر الأبهري** (ت ٣٧٥هـ) «مختصر ابن عبد الحكم» خمس مئة مرة، و«الأسدية» خمساً وسبعين مرة، و«الموطأ» خمساً وأربعين مرة، و«مختصر البرقي» سبعين مرة، و«المبسوط» ثلاثين مرة..

وأنت أبصر بفنك وكتابك ووقتــك، فاصنع لها ما يبلغ بك المعالي.





٣ إتمام الكتاب

• **ثمة كتب تحتـاج أن تقرأها من أول صفحـة إلى آخرها، وكتب يكفيك أن تأخذ منها مرادك فحسب**، وليس بالضرورة أن تقرأ كل كتاب يقع بين يديك، وفي مرات يصبح هذا المعتقد هو أحد العوائق الخفية في صدِّك عن القراءة وأنت لا تشعر.

كل كتـاب فيه مباحـث تسـتحق أن تقوم لها مـن مقعدك، وتجارب تقع منها على كنوز الدنيـا، ولفتات تصنع لك الحياة، وأفكار تحتـاج إلى أن تُكبّـر إجلالاً لها.. وثمـة مباحث مجرد اسـتطرادات لا قيمة لها في شيء، وقد تسـهم في ضياع وقتك، وهدر مقدراتك.

• **قبل أن تبدأ بقراءة كتاب قَلِّب صفحاته، وانظر مناسبته لك وتلبيته لحاجتـك، وملائمته لفكرك وثقافتـك**، وعلى هذا النظر سـتقرر أنت حاجتك إلى قراءتـه كله، أو قـراءة بعض مباحث فحسب.. ولكنني أذكِّرك وأنبهك على ألَّا تتحول قراءتك بالتجربة والعادة الدائمة إلى قراءة تشهّي، وتَحْكُم على الكتاب بمجرد نظرة

عجلة، وتطوي جملة من فصوله دون قراءة، وتتحول بعد ذلك إلى مجرد قارئ متذوق.. والعـادة المتكررة تتحول إلى جبلّة وطبيعة مع الأيام..

• **ويمكـن أن تتدرب وتؤهِّل نفسـك على قـراءة جملة من الكتب قراءة تامة**، ويصبح هذا هو الأصل عندك، وخاصة في كتب الفن أو التخصص أو المجال، وكتب أخرى مساندة وليست أصلية تأخذ منها قدر حاجتك.

• **في مرات تكون قراءتك قراءة فكرية لكتاب معين أو مؤلِّف، ولا يمكن أن تحكم على أفكاره وتنقدها إلّا من خلال استجماع أفكاره في كل مباحثـه**، وإلّا كانت فكرتك عـن الكتاب مبتورة لا قيمة لها في البحث العلمي أو القراءة النقدية..

• **وفي مرات يكون الهدف من قراءة الكتاب تذوُّق شـاعرية الكاتب**، وفنه الأدبـي، وخياله الواسـع، وطريقـة حكمه على الأشـياء، وكيف ينظر إلى الصور والمعانـي.. **ومثل هذه الكتب تحتاج منك إلى المثابرة على قراءتها كاملة**؛ لأنها تسهم من جهة في تربية الملكة الأدبية لديك، وتمنحك نصوصاً ومعاني تعينك على تحسين أساليبك الكتابية، ومن جهة أخرى تحتاج أن تلهم نفسـك بشـيء من المعاني العذبة التي تحتاجها النفس في مثل زمانك.

***





تلخيص الكتب واختصارها

• ضع في فكرك وأنت تقرأ كتاباً أنك لا تعود إليه مرة أخرى؛ لأن وقتك أثمن من أن يذهب في تكــرار بعض الكتب وهي قد لا تستحق منك العودة مرة أخرى، ولك أن تتخيّل أن تقضي أياماً في قراءة كتاب من ثــلاث مئة صفحة مثلاً، وتجــد فيه مباحثَ ولفتاتٍ وأفكاراً تستحق التدوين، ثم لا تعتني بها، فيلزمك على هذا إعادة قراءة هذا الكتاب مرة ثانية، وقد تحتاجه ثالثة ورابعة!..

ولهذا **فإن من الضروري أن يكون معك قلمك وأنت تقرأ أي كتاب؛ تعتني في قراءتك بالأفكار المهمــة، والتجارب الرائعة، والمفاهيم الضخمة، تضع عليها علامة وتشير إليها في أول صفحة من الكتــاب أو في آخر صفحــة منه لا فرق؛ بحيــث تنتهي من الكتاب وتكون أجمل أفكاره وأهمها وأعذبها في حوزتك.**

وحين تريد إعادة **قراءة الكتاب مرة أخرى لا تقرأ إلَّا ما أشرت إليه في قراءتك الأولى**؛ وهي الفصول والأفكار والمهام المدونة في الفهرس الذي صنعته فحسب، وبهذا تضبط الكتاب وتحسن

تصوره وتستفيد منه غاية الاستفادة، ولا يفوتك منه شيء مع الأيام.

وقد نفعني الله تعالى بهذا الأسلوب نفعاً عظيماً، وقد صنعت تجربة حقيقة بالحديث عنها في مثل هذه الملخصات؛ كنت أخصص أيام الإجازات الدراسية من كل أسبوع فأعود للكتب التي قرأتها ولخَّصْتُ أفكارها، وأقرأ هذه التلخيصات فحسب، وربما أقرؤها مرة ومرتين، وحصل لي بذلك غبطة بالكم الهائل الذي أجمعه في أسبوع واحد، ومن قراءات دامت لها سنوات طويلة، **وفي هذا حفظ لأوقاتك، واسترداد لمعارف وعلوم وأفكار ضخمة صُرف عليها زمن طويل في وقت قصير.**

• **وبعض الكتب أكبر من أن تدوِّن ملخَّصاً لها على فهرس كتابك، وإنما تحتاج إلى اختصار تنقل فيه كتاباً من ثلاث مئة صفحة إلى ثلاثين صفحة؛ تركّز فيها على عيون ما ذُكر،** ويصبح هذا الملخّص معك في كل وقت؛ تدمن قراءته حتى تضبطه وتحفظ مسائله، **وهذا النوع من العمل لا يكاد يضاهيه أي عمل** آخر **في الاستفادة من الكتاب، ونقله برمته إلى فكرك وعقلك.**

• **ومن رزق هذا الفقه في التعامل مع الكتب رزق خيراً كثيراً،** وجمع علماً ضخماً، وتحصَّل له في أقرب الأوقات ما لا يتحصّل لغيره في سنين طويلة.. **المهم ألَّا تكلَّ من التلخيص والاختصار؛ فإن عوائدها فوق ما تتخيل في مستقبل أيامك.**



• **في بداية تكوينك الثقافي يمكنك أن تكون قراءتك قراءة عامة مرتبة** من حيث نوع الكتاب، وجودة الكاتب، وصغر حجم الكتاب، وفأل حرف الكاتب.. ولكن ليس بالضرورة أن تكون في مجال أو تخصص معين، سيأتي بعد زمن من هذه القراءة قدرتك على **تحويل هذه القراءات إلى مجال ما أو تخصص أو مشروع أو قضية خاصة، وستكون هذه القراءات كفيلة بفرز توجهك ومجالك فيما بعد.**

إذا اتضـــح لـــك تخصصك، وعرفـــت مجالك ومشـــروعك وتوجهك؛ فينبغي أن تجعل خمسين في المئة من وقتك لصالحها، ويمكنك أن تســـتثمر بعضاً من الوقت الباقي في تكوين ثقافتك الأخرى الشرعية منها أو العامة.

• **القـــراءة التخصصية ضرورة مُلِحَّة جـــدّاً**، وهي القراءة التي تكوّن شـــخصيتك، وتجعل لك حضوراً في الســـاحة، وأثراً في مســـتقبل الأيام، وهذا النوع من القراءة تحتاج كذلك إلى ترتيب

وتنظيم ومعرفة بأولويات ومنهجية القــراءة في هذا الباب؛ حتى لا تأخذ مساحات كبيرة من وقتك ثم لا تحقق لك مرادك منها في النهاية.

ومثل ذلك القراءة الثقافية الشرعية أو القراءة العامة؛ ينبغي أن تكون وفق منهجية واضحة ومرتبة؛ حتى تبلغ بك إلى مرادك من أقرب الطرق وأيسر المسالك.

• ومن مفاهيم التركيز كذلك: أن تقرأ كتابك وفي يدك قلمك الذي تهتبــل فيه الفوائــد والمعارف والمفاهيــم والتجارب التي تحتاج منك إلى إعادة قراءة لها مرة أخرى، وتحويلها من مادة خام إلى مادة صالحة للتطبيق من خلال عرضها في قوالب قابلة للعمل.

في مرات كثيرة تكون هذه الأفكار التي تُلتقط في ثنايا القراءة هي التي تكوّن فكر صاحبها، وتنقله من واقعه إلى مســتقبله مع الأيــام.. وكم من تجربــة عارضة في كتاب أو فكــرة في موقف صنعت لقارئها كل شيء!..

ثمة صفحات في كتاب حقها أن تطوى، وصفحات ينبغي أن يحتفل بها إلى أقصى حد، ومن رزق التركيز بمعنييه كليهما؛ فقد رزق خيراً كبيراً، ووردت به القراءة إلى أمانيه مع الأيام.

❁ ❁ ❁



القراءة الواعية

• **إذا بدأت في بناء عادة القراءة في حياتك؛ فابدأ مستعيناً بالله تعالى، متوكلاً على ربك، متعبداً لله تعالى، ناوياً رفع الجهل عن نفسك ومن حولك**؛ فإن هذه النية كافية بإذن الله تعالى في انتفاعك بما تقــرأ، وتجنِّبك بــإذن الله تعالى مع الأيــام ما يواجهك من انحرافات وأخطاء الكُتَّاب التي تواجهها أثناء قراءتك.

• **لا تقرأ مستسلماً لكل شيء**، معتنقاً لكل فكرة، مؤمناً بكل ما يقال؛ إلا ما ورد في **شريعتك بيِّناً** واضحاً فذلك شأن آخر..

ولا تقرأ فــي المقابل خائفاً متوجِّســاً قلقاً من أســطر ذلك الكتاب، أو فكر ذلــك الكاتب؛ فتعيــش مثقلاً بهمــوم القراءة وأحمالها، وتحرم لذة الاســتمتاع وأنت تمــارس هذه العادة في حياتك كل يوم، إلّا ما كان معروفاً بذلك.. وإن الأولى ألا يكون هذا أصلاً من مقروءاتك في البدايات.

اقرأ وأنت مهيأ لاستقبال الفكرة المنتجة، والتجربة المبدعة،

والمفاهيم التي تمكنك من صعود السلم، لا التي تبعثر مشاعرك، وتخلق لك القلق، وتفتُّ في عضد عزيمتك وروحك ومشـــاعرك في مستقبل الأيام.

• **القراءة ســاعات ممتعة جــدّاً، وينبغي أن تأتــي إليها وفي شعورك أنها ستلهمك الحياة،** وتفتح آفاق عقلك إلى أبعد مدى، وتنضح على مشاعرك بمباهج الحياة.. ومن حق هذه الساعات أن تجد فيها متعتك كما تشــاء، **ومع ذلك لا يمنعك هذا من القراءة الواعية التي تتفاعل مع الفكــرة الناهضة،** وتتجانس مع المفاهيم الرائعة، وتأخذ حظها من التصورات الصحيحة، وتقف رافضة لما تجده من أخطاء أو أوهام أو أفكار ومعتقدات عليها ما عليها من الملاحظات.. وما تجده ليس بالضرورة أن تصدر عليه حكماً أو تتخذ منه موقفاً، وإنما يمكنك محاكمته إلى نصوص الشــريعة؛ وقبول ما يجري في إطارها، ورفض ما يخالفها بعد ذلك.

• **القراءة الواعية تجعلك حــرّاً أمام ما يجري على بصرك من معارف ومعلومات، وتؤسس لديك القراءة النقدية مع مرور الزمن، وتعينك على بناء تصورات صحيحة حيال الأفكار والمفاهيم التي تُعرض عليك بعد ذلك،** فاقرأ مستلهماً كل ما يصعد بك لسلالم المجد، وإذا وجــدت ما يعيق طريقك فيمكنــك أن تحاكمه إلى الدليل الصحيح والتجربة الناجحة مع الأيام.

⁂

الفصل الرابع

ماذا أقرأ؟

- القراءة للثقات والنكرات.
- القراءة للمتفائلين والمتشائمين.
- قراءة المتخصصين والمثقفين.







القراءة للثِّقات والنكرات

• **يُتوقَّع من القراءة أن تؤسِّس لديك أفكاراً ومفاهيم وتصورات جديدة؛ سواء في نفسك، أو فيمن حولك، وكل قراءة لا تصنع هذا الواقع في حياتك فهي لا تعدو أن تكون وقتاً فارغاً مستقطعاً من أعظم طاقاتك ومواردك**، وإذا كان كذلك فينبغي أن يكون هذا السؤال: ماذا أقرأ؟ ولمن أقرأ؟ حاضراً في ذهنك؛ خاصة إذا أدركت أن تساهلك في هذه البدايات مؤذن مع الزمن بتكوّن عقائد ومفاهيم وتصورات تبني مفاهيمك، وتشكل تصوراتك، وتصنع واقعك؛ فلا تُسلِّم قياد عقلك لكل كاتب، أو تلقي ببصرك في كل كتاب؛ حتى تعرف لمن تقرأ، خاصة في البدايات.

وغالب الذين ابتلوا بانحراف عقدي وفكري، أو حتى انحراف التصورات عمَّا حولهم من الأشياء؛ عاشوا مكبَّلين بعادات وقيم ومبادئ وسلوكات سلبية جدّاً وقفت حائلاً دون بناء مستقبلهم، وبقيت عقبة كؤوداً في طريق آمالهم وأحلامهم مع الأيام.

ومن هذا الباب ما يقرره أهل العلم كمثال مع «تفسير

الزمخشري» مع جلالة قدره وما فيه من علم، إلا أن ما فيه من المعتزليات تحتاج إلى مناقشات؛ فمثل هذا لو قرأ فيه قارئ مبتدئ لخربت عقيدته، وانحرف منهجه، وربما عاش أسيراً لهذه العقائد زمناً من عمره، ومات على غير هدى، وليس أعز على الإنسان في النهاية من دينه.. والأصل في المسلم السلامة من الانحراف، وهذا الأصل يجب أن يجري في أصل تعاملنا مع هذه الكتب، إلَّا ما بلغنا عنه شيء من الانحراف فيجب أن تأخذ حظها من السؤال والنقاش حيال ذلك، وما عدا ذلك فالسلامة أصل لا ينتقل منه إلى غيره إلَّا بدليل بيِّن واضح..

• **ويمكن لمن أراد أن يبني هذه العادة في واقعه وهو في البدايات أن يستشير الثقات من أهل الفن**، ولن يعدم خاصة في زمن مثل زمانك، وقد رأيت جملة من المواقع التي تعتني بعرض أفكار الكتب والكاتب، ومميزات الكتاب وعيوبه ومشكلاته، ما يعين القارئ على معرفة تلك الكتب بيسر وسهولة..

ومن بدأ الطريق فلن يعدم مؤتمناً يستشيره، وخبيراً يدله، وواعياً يثري ساحاته الثقافية بأجود الكتب وأفضل الكُتّاب، وإذا صدقت نيته وأقبل راغباً؛ فتح الله تعالى عليه آماله، وحقق له مراده من أقرب الطرق وأيسر المسالك.

❁ ❁ ❁



٢ القراءة للمتفائلين والمتشائمين

• **القــراءة عادة كفيلــة بصناعة واقع قلبــك وعقلك وفكرك ومشاعرك، وهذه العادة عبارة عن مائدة يصنعها ويضعها في قوالبها كاتب مــن الكتَّــاب، ويقدمها لك فــي صورة معرفــة ومفاهيم وتصــورات؛ فإما أن تســعدك وتأخذ بقلبك وتصنــع البهجة في مشــاعرك، وإلَّا ألقت بك في متاهات الهــوى وفوضى الأفكار، وصنعت منك بائساً في الحياة.**

كثيرون أســرى لمســاحات التشــاؤم واليأس، وقلقون من واقعهم، وتراودهم الشــكوك، وتطاردهم الأوهــام في كل حين؛ للدرجة التي تشوهت مفاهيمهم، وتكدرت خواطرهم، ويجدون معاناة كبيرة في تلك المفاهيم والتصورات.. وآخرون يعيشون أَلَقاً وجمالاً وسعة في مشاعرهم، ويجدون فسحة في أخلاقهم، ويرون الحياة من أبواب الفأل والأمــل.. وكلا الفريقين من صنع كاتب وحرف كتاب.

• ثمة كُتّاب تقرأ لهم فتــرى الربيع يملأ عينك، ويأخذ الفأل



مداه في قلبك، وتكاد مشاعرك تطرب لحروفهم، ومتين أفكارهم وتصوراتهم، وكُتّاب تموت معهم ألف مرة، ولا تكاد تُنهي الكتاب إلَّا وقد شنقوك في الطريق مراراً، وأدموا قلبك، وفتوا في عضد عزيمتك، وألقوا بك أو يكادون في هاوية الظلام، وإذا كان الأمر كذلك **فينبغي أن تحرص على كتابك الأول، وكاتبك الذي تبدأ من خلاله التعرف على هذه الممتعة في فستان فرحها وألقها الكبير.**

قراءتك لكاتب متشائم تعني إغلال عقلك في الأوهام، وربطه بسلاسل من الشكوك، والحكم عليه في مرات كثيرة بالإعدام، وكم من معوق لم يبرأ مدى العمر بسبب ذلك!..

وكم من قائم بعد إخفاق، وناجح بعد فشل، وكبير بعد ضياع، وحياة مشرقة بعد زمن في الهوامش.. وكل ذلك أثر من حرف كتاب وفكر كاتب؛ فاعتنِ بكتب تجربتك الأولى، واحرص على حرف يرفع أسهم نجاحك ويدفع بك للمعالي، ويكتب حظه من واقعك في مستقبل الأيام.

❁ ❁ ❁

٣ قراءة المتخصِّصين والمثقَّفين

• البدايات غالباً ما تكون مفتوحة ومتسعة أكثر من غيرها من المراحل؛ أقصد من نوع المقروء الذي يبدأ به، فإذا أراد إنسان أن يضع لهذه العادة موقعاً في حياته وسيرته الشخصية؛ فليقرأ قراءات متنوعة ومختلفة في أي مجال؛ لأن هذه الفكرة هي الكفيلة بصناعة تخصصك ومجالك ومشروعك في قادم الأيام.

حين تقرأ بنفس مفتوحة على كل الفنون ستتعرَّف على ميولك وأكثر ما يجذبك ويستهويك، وستجد كذلك أنك منجذب لبعض الكُتَّاب دون غيرهم، وما تزال تتشكل شخصيتك حتى تبلغ للكمال الذي تنشده، **فإذا ما تشكلت هذه العادة في واقعك، وبان لك مشروعك ومجالك وشغفك وفكرتك؛ يمكنك بعد ذلك أن تتخذ قراراً في الأوقات المصروفة لقراءة التخصص والقراءات العامة.**

• إنني مؤمن لحد القناعة بأن ثمة أصول ومفاهيم في الجانب الشرعي يحتاجها كل إنسان؛ وهي القاعدة الصلبة التي ينطلق منها

أيّاً كان مجاله وفكرته وتوجهه ومشروعه، وكل تساهل في تكوين هذه الثقافة الشـــرعية في البدايات مؤذن بفوضى فكرية وثقافية، وخلل في التصورات في الحياة عامة، فضلاً عن الخلل الناتج عن ضعف هذا المعنى على المستوى الخاص..

ومن تأمل كُتّاب الواقع من حوله أمكنه أن يرى وبجلاء ذلك الذي لديه أصول وضوابط فكرية ومنهجية يحاكم إليها ما يكتب، ويرد إليها ما يأتي من الأفكار والمفاهيم، وتلمس نجاحه وتفوقه وقبوله في المساحات التي يتواجد فيها فكره وأثر قلمه، وترى في المقابل من لديه ضعــف في هذه الأصول الفكريــة والمنهجية؛ أَخَلَّتْ بتصوراته، ولم تَتَّسِــق له تلك الأفــكار التي يطرحها في مشروعه، ويبذل في سبيلها في واقعه الذي يعيش فيه.

فإذا ما تعرّف على مشروعه ومجاله وتخصصه وفنه وشغفه؛ أمكن بعدُ أن يضع له من ســنام وقته ما يقرّب نجاحه، ويبلغ به أمله، ويفرض لما بقي مــن القراءات جزءاً مــن وقته يمكّنه من إدراكها والتعرف عليها بما يعود بالنفع عليه في الدارين.

❁ ❁ ❁



فهرس المحتويات

❁ ❁ ❁